



# البلاغة والنقد

الفرقة الثانية / تعليم أساسي / قسم اللغة العربية

أ.م.د. حمد الله عبد الحكيم

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد

## • بيانات الكتاب



الكلية: كلية التربية / أساسي.

الفرقة: الثانية.

المقرر: البلاغة والنقد

التخصص: قسم اللغة العربية وآدابها.

عدد الصفحات: مائة وثلاثة وثلاثون صفحة.

أستاذ المقرر: أ.م.د. حمد الله عبد الحكيم محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

(سورة النحل: آية ٤٤)

## مقدمة

تهدف البلاغة إلى تيسير الخبر على السامع عن طريق مراعاة جميع أحواله لا أقول الذهنية فحسب بل النفسية والروحية والمقامية وإن شئت فقل المكانية بمعنى مراعاة مكان إلقاء الخبر وزمانه بالإضافة إلى الأحوال الأخرى؛ لأن في مراعاة هذه الأمور راحة للسامع وراحة أيضا للمتكلم؛ فقبول الخبر كما يستدعي هذه الأمور فبالأولى يحتاج إلقاءه إلى حال معد ووموافقة لما يبغى المتكلم إيصاله.

ولا شك أن البلاغة فرع من علوم العربية التي تميزت بمحاولة إيجاد تكوين تركيب معين له دلالة مخصوصة يسهم في إنجاح الموقف الذي هو شركة بين المتكلم والسامع؛ فالكلام العادي الذي لا يبغى المتكلم من ورائه تحقيق هدف معين، أو اختيار ألفاظ معينة لمناسبتها هذا الحال دون غيره لا يعد مراعيًا لأبسط قواعد هذا العلم فما أعنيه ذلك الربط بين اختيار الكلمات المناسبة عن هذه المواقف وتفضيلها على سواها، وقد أشار عبد القاهر كثيرًا إلى موضوع الاختيار وأسماء التخير، وأرى أن البلاغة ينصب جل قيمتها على الاختيار، فاختيار كلمة دون أخرى مرادفة لها عند الشاعر أو الأديب وترك غيرها عن عمد يجعل الناقد يبحث وراء هذا الاختيار وما تميز به عن غيره، رغم أن معنى الكلمتين واحد، وهو ما يأخذنا إلى الإشارة إلى قيمة عظيمة في هذا الفن بل في اللغة العربية عامة، وهي تلك المزية التي تجعل لكل لفظ خصائصه ودلالاته.

ويصدق القول بالاختيار على القرآن الكريم ذلك النظم المعجز المتحدي لكل بلاغة وكل بيان، فلا تلوه بلاغة ولا يصل إليه كلام مهما كان، ففيه تظهر بلاغة اختيار لفظ دون لفظ، ومعنى دون سواه، والسر في ذلك هو مطابقة هذا اللفظ لسياق الحال، وسيق الآية، وسيق السورة، بل إن شئت -وجاز التعبير- فقل لسياق

القرآن كله، كما يراعي عند اختيار لفظه تركيب حروفه شدة ورخاوة، وجهرا وهمسا، ونبرا وتنغيمًا، كما ينظر إلى مراعاتها لما يجاورها فيختار ما يوافق جاراتها، وما يوافق جرس الكلام علوا وانخفاضا، ويراعي إلى جانب ذلك كله ذلك الغرض الذي قدم من أجله هذا اللفظ على غيره.

وهو ما يجعلنا ننتقل إلى مراعاة أخرى يراعيها الكلام البليغ تنصب على الاهتمام بالتركيب، فلولا اللفظ إلى جوار اللفظ ما كان التركيب، ولولا التركيب ما كان المعنى، فاختيار تركيب دون تركيب يأتي لسبب قوي هو السر وراء تقديم هذا على ذلك، فاختيار أسلوب القصر، أو التقديم والتأخير، أو حذف شيء من التركيب أو ذكره، أو اختيار الإيجاز على الإطناب أو العكس يعد إشارة قوية إلى أثر ذلك كله على مراعاة حال السامع، وقد علا النظم القرآني على كل بيان بكثير من الميزات؛ منها مراعاة كلامه ومناسبته لكل مقام ومكان وزمان.

لذلك سأحاول في هذا الكتاب تسليط الضوء على علم من علوم البلاغة هو علم المعاني فإن هذا العلم-ينظر في استعمال هذا اللفظ دون غيره وهذا التركيب دون سواه، ويركز على قيمة الرتبة المحفوظة ودورها إذا جاءت في تركيب معين وسيقت لغرض معين وكان القصد إلى استعمالها، وينظر أيضا في الرتبة غير المحفوظة ليشرح دورها في إثراء المعنى، والعدول عن هذا التركيب إلى سواه، وعلاقة ذلك بالمعنى، فيحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله إلى السامع.

والله ولي التوفيق.

# الفصاحة والبلاغة

أولاً: الفصاحة:

\* فصاحة الكلمة.

\* فصاحة الكلام.

ثانياً: البلاغة.

## الفصاحة والبلاغة

الفصاحة-في اللغة-: البيان. فُصِحَ الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فُصحاء وفِصاح وفُصِح، وامرأة فصيحة من نسوة فِصاح وفِصائح. ورجل فصيح وكلام فصيح، أي بليغ، ولسان فصيح: طَلَقَ.

وأفصح يُفصِح إفصاحاً: أبان وأوضح، وفُصِح الأعمى فصاحة: تكلم بالعربية وفُهم عنه، وتَفَصَّح: تكَلَّف الفصاحة... والفصيح في كلام العامة: المُعَرَّب. والفصيح في اللغة: المنطلق اللسان في القول، الذي يعرف جيد الكلام من رديئه؛ وبهذا فإن الفصاحة-في الاصطلاح-تعني الإبانة والظهور والإيضاح والبراعة والبلاغة في اللفظ المفرد والمؤلف.

قال تعالى: (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً) (القصص: ٣٤).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش".  
ويقول أحمد شوقي في مدح النبي الكريم:

جَرَّتِ الْفَصَاحَةُ مِنْ يَنَابِيعِ النُّهْيِ  
مِنْ دَوْحِهِ وَتَفَجَّرَ الْإِنْشَاءُ

### أولاً: فصاحة الكلمة

تكون الفصاحة للفظ المفرد غالباً، بينما تكون البلاغة في اللفظ المفرد والمؤلف، وفصاحة الكلمة تكمن فيها منفردة ومؤلفة ولكل منها أبوابه، وإذا كان أصحاب البلاغة قد أرجعوا مفهوم البلاغة والفصاحة إلى جوهر اللفظ المفرد في دلالاته الوضعية؛ فإنهم ذكروا له عدة أشياء.

#### ١- تنافر الحروف؛ لتقارب المخارج:

هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع، وصعوبة أدائها باللسان؛ بسبب

تقارب مخارج حروفها؛ فتقارب مخارج اللفظ يبعده عن الجمال؛ كما في كلمة (الهُعْخُع، أو الهَمْخُع)، وهو نبت ترعاه الإبل؛ من قول أعرابي: تركت ناقتي ترعى الهَمْخُع.

ويرجع قبح هذه الكلمة إلى تقارب مخارج حروفها، فحروفها حلقيه مما يصعب عملية نطقها بسهولة ويسر، ومثلها كلمة "مستشزرات" في قول امرئ القيس:

وَفَرَعٍ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ      أَثِيثٍ كَقِنِوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِلِ  
عَدَائِرُهَا مُسْتَشْزِرَاتُ إِلَى الْعُلَا      تَصِلُ الْعِقَاصَ فِي مُنْتَى وَمُرْسَلِ

(الغدائر) الضفائر، (والاستشراز) الارتفاع، (والعقاص) جمع عقيصة، وهي الخصلة من الشعر، (والثنى) الشعر المفتول، (والمرسل) ضده . أي: ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثني، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص: أي ملوي؛ فمخارج حروف كلمة (مستشزرات) متقاربة، فأكثرها يخرج من الأسنان.

## ٢- الغرابة والوعورة والوحشية:

تقع الغرابة والتوعر في الاستعمال في بنية الكلمة، أو بيئتها؛ أو موضوعها، أو ثقافة أهلها؛ مثل كلمة (كهل) الواقعة في قول بعض الهذليين، بمعنى الضخم؛ وهو لأبي خراش الهذلي:

فَلَوْ أَنَّ سَلْمَى جَارَهُ أَوْ أَجَارَهُ      رِيَاخُ بَنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طَائِرُ كَهْلٍ

الكهل في اللغة: الرجل الذي جاوز الثلاثين ووَحَّطَهُ الشيبُ. وقيل: أراد بالكهل ههنا الحليم العاقل أي أن الله يدخل أهل الجنة حُلَمَاءَ عُقَلَاءَ، قال الله تعالى في قصة عيسى-عليه السلام-: وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا (آل عمران: ٤٦)؛ قال الفراء:



أراد ومُكَلِّمًا الناس في المهد وكَهْلًا، ولكن الشاعر أتى بالكهل هنا بمعنى الضخم؛ فلفظة الكهل ليست بقبيحة التأليف لكنها وحشية غريبة إلا أنها تناسب بيئته هو؛ فصار اللفظ غريباً.

وما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حماره، فاجتمع عليه الناس، فقال: "ما لكم تكأكتم عليّ كتكأكنكم على ذي جنة افرنقعوا عني"، أي: اجتمعتم تنحوا، وهذا من الغريب النادر.

وعيب على جرير استعماله لكلمة (بوزع) في قوله:

وتقول بَوَزَعُ: قد دببت على العصا      هلا هزئت بغيرنا يا بوزعُ

وبوزع اسم المرأة، وروي أن الوليد بن عبد الملك قال له: أفسدت شعرك بـ"بَوَزَعٍ".

ومن الألفاظ الكريهة التأليف (الجَرشَى) في قول المتنبي:

مباركُ الاسمِ أغرُّ اللقبِ      كريمُ الجَرشَى شريفُ النسبِ

فالكلمة وحشية، تأنفها الطباع وتمجها الأسماع، وتنبو عنها، فبدلاً من أن يأتي بلفظ النفس أتى بإحدى معانيها، وهو معنى غير مقبول لكراهته في السمع.

٣- مخالفة القياس الصرفي:

وهو كون الكلمة شاذة غير جارية على كلام العرب في الصرف؛ فجاءت على خلاف الثابت عن العرف العربي الصحيح في الأوزان الصرفية؛ كقول أبي النجم:

الحمد لله العلي الأجل      الواحد الفرد القديم الأوّل

الصواب صرفياً : الأجلّ، فليس هناك ضرورة لفك الإدغام هنا.

ومما خالف القياس لفظ "بوقات" جمع مؤنث مفرده "بوق" بمعنى المزمار، في قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

**فإن يك بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول**

يقول: إذا كنت سيفاً لدولتك له أثره وخطره فغيرك من الملوك بمثابة البوق والطبل لا أثر له، ولا غناء فيه، فلفظ "بوقات" في البيت غير فصيح؛ لمخالفته لما ثبت عن الواضع، وللقياس الصرفي؛ إذ الثابت عن الواضع جمعه جمع تكسير، والقياس الصرفي أيضاً يقتضي جمعه مكسراً، فيقال: "أبواق"؛ لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة ليس هذا الاسم منها.

ومن مخالفة القياس الصرفي ما نجده من أخطاء شائعة على ألسنة الناس وفي بعض الكتابات يقولون: السيارة المباعية، ونضوج الفاكهة يزيداً حلاوة، وهذه عصاتي وغير ذلك، والقياس الصرفي يقضي بقول: السيارة المببيعة، ونضج الفاكهة، وهذه عصاي.

وقد جاءت ألفاظ خالفت القياس الصرفي ولكنها من الفصاحة بمكان، فقد استثنيت لفظتا (المشرق والمغرب) بكسر الراء، والقياس فتحها فيهما.

**٤- تطور المدلول اللغوي.**

تطور المدلول أو الدلالة المجازية قد يكون مدعاة للغرابة، كتطور دلالة الزكاة والصلاة والصيام والسلام... في الإسلام عما كانت عليه في الجاهلية؛ حتى غدا المعنى الجاهلي غريباً.

**٥- ألا تكون الكلمة عامية مبتذلة؛ كقول أبي تمام:**

**جَلَّيْتُ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حُرِّ صَفْحَتِهِ      وَقَدْ تَفَرَّعْنَ فِي أَوْصَالِهِ الْأَجَلُ**

فالفعل: تفرعن، مشتق من فرعون، وهو من ألفاظ العامة.

**٦- جريان الكلمة على المذهب اللغوي الصحيح، وألا تكون شاذة عما تواضع**

عليه العرب من أبنية؛ ومن ذلك قول البحترى:

يشق عليه الريح كل عشية      جيوب الغمام بين بكرٍ وأيم

فوضع الأيم مكان الثيب، وليس الأمر كذلك، إنما الأيم التي لا زوج لها؛ بكرة كانت أو ثيباً.

ومنه صرف ما لا يُنصرف كجبريل في قول حسان:

وجبريلٌ أمينٌ الله فينا      وروح القدس ليس له كفاء

٧- ألا تعبر الكلمة عن أمر آخر يكره ذكره؛ ولم توضع له في الأصل، فإذا أوردت ولم يقصد بها المعنى الأصلي قبحت... كقول أبي تمام:

متفجرٌ نادمته فكأنني      للدلو أو للمرزمين نديمٌ

فالدلو معروف؛ وهو لاستخراج الماء من البئر، ولكن أبا تمام استعمله هنا اسماً لبرج من بروج السماء؛ فهو يمدح رجلاً بالجوذ فيقول له: أنت كالدلو كراماً والمرزم جوذاً، وكلاهما من نجوم السماء التي يرتبط بها المطر، ولكن الاستعمال للدلو على هذا الوجه غير مألوف.

٨- اعتدال عدد حروف الكلمة: فمتى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة. فكثرة حروف الكلمة إذا استعملت في الشعر خاصة كانت قبيحة جداً، ولو كانت عربية كما في (سويداواتها) من قول المتنبي:

إن الكريم بلا كرام منهم      مثل القلوب بلا سويداواتها

إن الكرام من الخيل بلا فرسان كرام من الممدوحين؛ مثل القلوب بلا سواده، والمراد بالسويداء، سواد القلب: حبته وقيل: دمه؛ يقال رميه فأصببت سواد قلبه؛

ولكن المنتبى خرج إلى الشاذ النادر في تركيب لفظ من حروف كثيرة فقبح لطوله وكثرة حروفه؛ والطول وحده قبيح كما في قول أبي تمام حين استعمل كلمة (حَوْبَاوَاتِهَا) وهي جمع حوباء بمعنى النفس:

العَيْسُ تعلم أَنَّ حَوْبَاوَاتِهَا      رِيحٌ إِذَا بَلَغْتَكَ إِنَّ لَمْ تُنْحَرْ

### ثانياً - فصاحة الكلام

تبقى اللفظة فصيحة في موضعها عندما يراعي المتكلم الحال والمقام والمخاطب والدقة في الاستعمال، ويؤدي التأليف إلى إظهار قيمتها وتأثيرها على المعنى الذي وضعت فيه، وفصاحة الكلام تعني سلامته بعد فصاحة مفرداته ممَّا يُبهم معناه ويحول دون المراد منه، كما أن المراد بفصاحتها أن يتكون من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النطق بها لتألفها، ويسهل على العقل فهمها لترتيب ألفاظها وفق ترتيب المعاني.

وتختلف فصاحة الكلام أحيانا باختلاف التعبير عما يدور بالنفس من المعاني اختلافا ظاهرا، فتجد في عبارات الأدباء من الحسن والجودة ما لا تجد في تعبير غيرهم، مع اتحاد المعنى الذي يعبر عنه.

- وتتحقق فصاحة الكلام بخلوه من عدة عيوب:

**الأول - تناثر الكلمات في التركيب:** أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها، عسرة النطق بها مُجتمعةً على اللسان، وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً؛ كقول الشاعر:

وَقَبْرٌ حربٍ بِمَكَانٍ قَفْرٌ      وَلَيْسَ قَرْبٍ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

فالثقل ناتج من تقارب الحروف في المخرج؛ فيصعب تكرار المقطع مرات متتالية.

ومثله قول الأعشى:

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَّبِعُنِي شَاوٍ مِثْلُ شَلُولٍ شُلْشُلٌ شَوْلٌ

شَاوٍ : يشوي اللحم ، مِثْلُ شَلُولٍ : سائق ماهر ، شُلْشُلٌ : خفيف سريع في العمل، شَوْلٌ : يحمل الشيء.

ومثله قو المتنبي:

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَا قَلَاقِلَ عَيْسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلٌ

قلقل: حرك و"قلاقل" الأولى جمع قلقلة، وهي الناقة السريعة "وقلاقل" الثانية جمع قلقلة بمعنى الحركة، وضمير كلهن "للعيس" وهي النوق، والمعنى: حركت بسبب الهم الذي حرك نفسي نوقاً خفافاً في السير، والمراد أنه سافر ولم يعرج بالمكان الذي يلحقه فيه ضيم.

ومنه قول أبي تمام:

كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

لأن في قوله: (أمدحه) ثقلاً؛ لما بين الحاء والهاء من التنافر، فإنهما حرفان متنافران لتقاربهما، فإن التقارب قد يكون سبباً للتنافر؛ ولذلك حكم على الكلمات التي تكررت فيها الحروف المتماثلة بالثقل كما تقدم، ثم فيما قاله من ثقل (أمدحه) نظر؛ فإن اجتماع الحاء والهاء فصيح؛ لوروده في القرآن قال الله تعالى: ومن الليل فسبحه، وإنما جاء الثقل هنا من تكرار أمدحه.

ومثله قوله أيضاً:

فَالْمَجْدُ لَا يَرْضَى بِأَنْ تَرْضَى بِأَنْ يَرْضَى الْمُؤْمَلُ مِنْكَ إِلَّا بِالرِّضَا

**الثاني -ضعف التأليف:** بأن يكون تأليف أجزاء الكلام على خلاف القانون النحويّ المشتهر عند جمهور النحاة؛ كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعراف منهما على الأعراف مع أنه يجب الفصل في تلك الحالة -كقول المتنبي:

خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا      فَأَعَاضَهَاكَ اللَّهُ كِي لَا تَحْزَنَا

يقول: جعلك الله عوضاً من الشمس للبلاد وأهلها عن فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا. وقد اجتمع ضمير المخاطب والغائب فالصواب تقديم المخاطب على الغائب، فيجوز القول: فأعاضكها الله.

الشاهد والصواب عند سيبويه: فأعاضها إياك.

وكالإتيان بالضمير متصلاً بعد إلا؛ في قول المتنبي:

لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هُمَامٌ      سَيْفُهُ دُونَ عَرِضِهِ مَسْلُوكٌ

يقول: ليس أحد من الملوك يقي عرضه بسيفه غيرك ويضاريك شجاعة، وفي البيت ضعف في التأليف حيث وضع الضمير المتصل (الكاف) بعد إلا، وحقه وضع المنفصل (إياك)، فالصواب: إلا إياك.

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً ورثبةً وحكما في غير أبوابه؛ نحو قول الشاعر:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغِيلَانَ عَنْ كَبِيرٍ      وَحَسَنَ فَعَلَ كَمَا يَجْزِي سَنَمَارَ

"سنمار" اسم رجل بنى للنعمان بن امرئ القيس قصراً فخماً بالكوفة سماه "الخورنق" وقد أتقن بحذقه وبراعته صنعه، ولما أتم بناءه وزخرفه ألقاه النعمان من أعلاه لئلا يبني قصراً مثله لغيره، فمات سنمار لساعته، وضرب به المثل لكل من يجازي على الخير بالشر. ومعنى البيت: أن الشاعر دعا على أبي الغيلان أن يجازيه أولاده مع كبر سنه، وحسن صنيعه معهم شر جزاء، كما وقع لسنمار.

والشاهد فيه: (جزى بنوه أبا الغيلان) حيث أحرّ المفعول به وهو (أبا الغيلان)، عن الفاعل وهو قوله (بنوه) مع أنّ الفاعل متّصل بضمير عائِد على المفعول، فعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهذا ممّا لا يجيزه جمهور النحويين؛ فهو إذاً غير فصيح لضعف تأليفه.

فضعف التّأليف ناشئ، من العدول عن المشهور، أما إذا خالف ما أجمع علي؛ كجر الفاعل ورفع المفعول فيفسد الكلام تماماً.

**الثالث - التعقيد اللفظي** : وهو أن يختل على السمع نظم الكلام فلا يدري كيف يصل إلى معناه، وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض) ؛ كقول المتنبي:

**جَفَخْتَ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِيَهُمْ      شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغْرِّ دَلَائِلُ**

أصله -جفخت (افتخرت) بهم شيمَ دلائل على الحسب الأغر هم لا يجفخون بها. فلفظة جفخت مرة الطعم، وإذا مرت على السمع اقشعر منها: ولو استعمل (المتنبي) عوضاً عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت، وحظى في استعماله بالأحسن. ومثله قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام المخزومي، خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

**وما مثله فى الناس إلا مملكا      أبو أمه حى أبوه يقاربه**

يريد وما مثل إبراهيم الممدوح فى الناس حى يقاربه إلا مملكا، وهو هشام أبو أمه، والضمير فى (أمه) للملك، وهو هشام وفى (أبوه) للممدوح ففصل بين (أبو أمه) وهو مبتدأ و (أبوه) وهو خبر (بحى) الأجنبى، وفصل بين المبتدأ والخبر، وهما مثله وحى بقوله (فى الناس إلا مملكا أبو أمه) وفصل بين (حى) وهو موصوف ب (يقاربه) (بأبوه) وهو أجنبى، وقدم المستثنى على المستثنى منه فلذلك كان ضعيفا ذا تعقيد،

فالخالي من التعقيد ما لا يكون فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك، إلا بقريظة ظاهرة لفظاً أو معنى.

أصل ترتيب الكلام: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه، فقدم وأخر في الكلمات، فألغز إلغازاً سيئاً.

فالشاعر أراد أن يقول: إن ممدوحه قد بلغ من الفضائل مبلغاً لم يلحقه فيه أحد من الأحياء إلا حي واحد له صلة بهذا الممدوح، فهو ابن أخته وهو ملك أيضاً.

يقول الزمخشري: " فانظر أتتصوّر أن يكون ذلك للفظه من حيث إنك أنكرت شيئاً، من حروفه، أو صادفت وحشياً غريباً، أو سوقياً ضعيفاً؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر، على موجب ترتيب المعاني في الفكر، فكذّ وكذّر، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يُقدّم ويؤخّر، ثم أسرف في إبطال النّظام، وإبعاد المرّام." وربما كانت ضرورة الوزن هي من حملت الشاعر إلى هذا التعقيد.

**الرابع - التعقيد المعنوي:** كون التركيب خفيّ الدلالة على المعنى المراد - بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل، وذلك لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلى وسائط كثيرة، مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود .

بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معناها الحقيقي، فيسئ اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع نحو: نشر الملك ألسنته في المدينة، يريد جواسيسه والصواب نشر عيونهم.

وبأن يكون فهم المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عرفاً كما في قول عباس بن الأحنف:



سأطلبُ بُعدَ الدارِ عنكم لتقربوا      وتسكُبُ عيناى الدموع لتجمدا

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن، وأصاب؛ وأراد أن يكنى عما يوجبه التلافي من السرور بجمود العين لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر وأخطأ؛ إذ الجمود خلو العين من البكاء حال إرادة البكاء منها فلا يكون كناية عن المسرة، بل كناية عن البخل.

فما نهجه الشاعر هنا خفيّ وبعيدٌ ؛ إذ لم يعرف في كلام العرب عند الدعاء لشخص بالسرور (أن يقال له جُمِدَت عينك) أو لا زالت عينك جامدةً، بل المعروف عندهم أنّ جمود العين إنّما يكنى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخنساء.

أعيني جوداً ولا تجمداً      ألا تبكيان لصخر الندى

ويروى أن امرأة دخلت على هارون الرشيد وكان في اجتماع مع أعيان رجال الدولة. فقالت بعد التحية: يا أمير المؤمنين أقر الله عينك، وفرحك بما آتاك، وأتم الله سعدك، لقد حكمت فقسطت؛ فسألها الرشيد: من تكونين أيتها المرأة؟ فقالت: من آل برمك، من قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم، فقال: أما الرجال فنفذ فيهم حكم الله، وأما المال فمردود عليك، ثم ألقت إلى الحاضرين، وقال: أتدرون ماذا قالت المرأة؟ قالوا ما قالت إلا خيراً. قال الرشيد: أنتم لم تفهموا مرادها؛ فقولها أقر الله عينك بمعنى أسكنها عن الحركة، وسكون العين عن الحركة يعني العمى، وأما قولها وفرحك بما آتاك تقصد به قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) (الأنعام: ٤٤). وأما قولها : وأتم الله سعدك؛ فأخذته من قول الشاعر:

إذا تم أمر بدا نقصه      توقع زوالاً إذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته، من قوله تعالى (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (الجن: ١٥)؛ فتعجب الحاضرون من بلاغة المرأة وذكاء الرشيد.

وقد ربط الرشيد بين خلفية المرأة التي هي من آل برمك، وبين مقدمات حديثها وبين ما حل بآل برمك من عقاب؛ ففطن إلى مرادها.

وهكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأغراض ويغيرها المتكلم، ويريد بها أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سنن العرب في استعمالاتهم، ويُعدّ ذلك تعقيداً في المعنى: حيث لا يكون المراد بها واضحاً.

**الخامس - كثرة التكرار** : كون اللفظ الواحد: اسماً أو فعلاً أو حرفاً، وسواء أكان الاسم: ظاهراً أو ضميراً، تعدّد مرّة بعد أخرى بغير فائدة؛ كقوله:

إني وأسطارٍ سَطْرَنَ سَطْرًا      لِقَائِلُ يَا نَصْرُ نَصْرُ نَصْرًا

يقول الشاعر: مقسما بأسطار (وهي آيات القرآن) كتبت سطرًا سطرًا، أن نصر بن سيار أمير خراسان سوف ينتصر نصرًا عظيمًا.

وكقول المتنبي:

عِشْ إِبْقَ إِسْمُ سُدُّ قَدْ جُدُّ مِرِّ إِنْهُ      غِظِّ إِرْمِ صِبِّ إِحْمِ إِغْزُ إِسْبِ رُوعِ رُوعِ دِلِ  
رِفِّ إِسْرِ نَلِّ      إِثْنِ

وقال حازم القرطاجني: إن بيت المتنبي إنما قبح لقصر كلماته المتوالية التي على حرفين، وينبغي أن يذكر هذا في شروط فصاحة الكلام.

وكقول أبي تمام في المديح:

كأنه في اجتماع الرُّوح فيه له      في كلِّ جارحةٍ من جسمه رُوحُ

المراد بالكثرة ههنا ما فوق الوحدة؛ فذكر الشيء ثانياً تكرر، وذكره ثالثاً كثرة، وإنما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة، وإلا لقبح التوكيد اللفظي.

ومنه قول أبي الطيب:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة      سبوح لها منها عليها شواهد

ومن التكرار الحسن:

قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم". وهنا استشهاد على عدم كراهية التكرار.

السادس: تتابع الإضافات: كون الاسم مضافا إضافةً مُتداخلةً غالباً، كقول الشاعر:

حمامة جَرعا حومةِ الجندلِ اسجعي      فأنتِ بمرأى من سُعادٍ ومسمع

ففيه إضافة حمامة إلى جرجا وهو تأنيث الأجرع وهو المكان ذو الحجارة السود، أو مكان الرمل الذي لا ينبت شيئاً (وجرجا) مضاف إلى (حومة) وهي معظم الشيء (وحومة) مضاف إلى (الجندل) بسكون النون وهو الحجر، والمراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال - وقوله: فأنتِ بمرأى من سعاد ومسمع، أي أنتِ بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك - يقول: اسجعي يا حمامة أرض قفرة سبخة، فإن سعاد تراك وتسمعك.

وقال عبد القاهر: لا شك في ثقل ذلك في الأكثر، إنما هو قد يحسن إذا سلم من الاستكراه.

وبذلك ففصاحة الكلام تكون بخلوّه من تنافر كلماته ومن ضعف تأليفه، وتعقيد معناه، ومن وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها.

## البلاغة

البلاغة في اللغة: بلغ الشيءُ يُبلَغُ بُلوغاً وبلاغاً، إذا وصل وانتهى إلى غايته، أبلغتُ الشيءَ إبلاغاً وبلاغاً، وبلغتُهُ تَبليغاً، إذا أوصلته إلى غايته ونهايته، وبلغَ

الْغُلَامُ وَبَلَغَتْ الْجَارِيَةَ، إِذَا وَصَلَا إِلَى انْتِهَاءِ مَرِحَلَةِ مَا دُونَ التَّكْلِيفِ، وَدَخَلَ فِي مَرِحَلَةِ التَّكْلِيفِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِاحْتِلَامِ الْغُلَامِ وَحِيضِ الْجَارِيَةَ، وَيُقَالُ: ذَكَرَ بِالْغِ، وَأُنْثَى بِالْغِ وَبَالِغَةَ.

بلوغ الرجل بعبارته كنه مراده، أي: غايته، يقال: بلغ محمد بلاغة، إذا كان يبلغ بعبارته الغاية التي يريد بها.

وأصل مادّة الكلمة في اللّغة تدور حول وُصولِ الشّيءِ إلى غايته ونهايته، أو إيصال الشّيءِ إلى غايته ونهايته.

البلاغة عند أهل اللّغة: هي حُسْنُ الكلامِ مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد، والرجل البليغ هو من كان فصيحاً حَسَنَ الكلامِ يَبْلُغُ بعبارة لسانه غاية المعاني التي في نفسه، ممّا يُريدُ التعبير عنه وتوصيلَهُ لمن يُريدُ إبلاغه ما في نفسه، وتقع البلاغة وصفاً للكلام، والمتكلم، ولم يسمع وصف الكلمة بها.

بلاغة الكلام في الاصطلاح: هي مطابقة الكلام لمقتضى حال من يُخاطبُ به مع فصاحة مفرداته وجُمَلِهِ؛ فيشترط في الكلام البليغ؛ أن يكون فصيح المفردات والجمل، وأن يكون مطابقاً لمقتضى حال من يُخاطبُ به.

ومن أقوال البلغاء في تحديد مفهوم البلاغة كما تصوّرها من وردت هذه الأقوال على ألسنتهم، بيد أن النظر في كل قول من هذه الأقوال لا يعطينا مفهومًا جامعًا مانعًا للبلاغة، ولكن ربما التمس مفهوم البلاغة المنشود من ثنايا بعض هذه الأقوال، سنل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليل يفهم وكثير لا يسأم. وسئل آخر فقال: معان كثيرة في ألفاظ قليلة.

وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز. وسئل بعض

الأعراب: من أبلغ الناس؟ فقال: أسهلهم لفظاً، وأحسنهم بديهة.

وقال خلف الأحمر: البلاغة لمحة دالة.

وقال الخليل بن أحمد: البلاغة كلمة تكشف عن البقية.

وقال المفضل الضبي: قلت لأعرابي: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير

عجز، والإطناب من غير خطل.

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي إلى عمرو بن مسعدة: إذا كان الإكثار أبلغ

كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيياً.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إيفهام السامع، ولذلك

سميت بلاغة.

وقال آخر: البلاغة معرفة الفصل من الوصل.

وقيل البلاغة: حسن العبارة، مع صحة الدلالة.

ولعل أقرب التعريفات إلى تعريف المتأخرين للبلاغة هو قول أبي هلال العسكري:

"البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع

صورة مقبولة ومعرض حسن".

فالبلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وبذلك يتفاضل

القائلون، ويعلو بعض الكلام على بعضه في درجات البلاغة. وقد عرف المتأخرون

البلاغة بأنها: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

## بناء الجملة في اللغة العربية

تعريف الجملة:

الجملة المفيدة كلامٌ تامٌّ يدلُّ على معنى أقله نسبةُ شيءٍ إلى شيءٍ إثباتاً أو نفيًا، أو إنشاءً ربطٍ بين شيءٍ وشيءٍ آخرٍ يكفي لإنشائه القول، مثل أمر التكوين، أو الأمر بفعلٍ ما.

وأقلُّ ما تتألف منه الجملة عنصر أن يُعبَّرَ عنهُما باللفظ، وهما:

(١) مُسندٌ إليه، ويُسمَّى محكوماً عليه.

(٢) ومُسندٌ، ويُسمَّى محكوماً به.

(٣) ويُلحق بالجملة المفيدة توابع المسند إليه والمُسندِ إن وُجدت، فمنها

المفاعيل، والأدوات، ما يدلُّ على القيود لأركان الجملة، كالصفات والأحوال والقيود الزمانيَّة والمكانيَّة.

والجمل نوعان : الجملة الإسمية والفعلية.

**أولاً: الجملة الإسمية:**

وهي الجملة التي يقع الاسم في أولها وقوعاً أصيلاً، بمعنى أن الاسم في أولها يستحق الابتداء به، وإن تأخر عن صدر الجملة، ووضعت لإفادة ثبوت المسند للمسند إليه؛ فالجملة الإسمية بأصل وضعها ثبوت الحكم فحسب، بلا نظر إلى تجدد ولا استمرار، فقولنا: الله واحد لا تفيد الجملة هنا إلا ثبوت الوجدانية لله تعالى دون النظر إلى التجدد والاستمرار.

ولكن قد تحف بها قرائن أخرى تستفاد من سياق الكلام، كأن يكون في معرض مدح أو ذم أو حكمة، أو نحو ذلك، فتفيد لدوام والاستمرار حينئذ، وعليه قول النضر

بن جويرية يتمدح بالغنى والكرم:

**لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق**

فهو يريد أن دراهمهم دائمة الانطلاق تمرق من الكيس مروق السهام من قسيها لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات، كما يرشد إلى ذلك ما قبله:

**إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت إلى طرق المعروف تستبق**

والشاهد قوله: (وهو منطلق) فالدرهم لا يستقر عنده؛ لذلك فهو باستمرار ينطلق كرمًا وإغاثة للناس المحتاجين، وقد قدّم السياق القرائن الدالة على ذلك.

ومثله قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)، فسياق الحديث في معرض المدح دال على إفادة الاستمرار والدوام.

تفيد الجملة الإسمية الدوام والاستمرار في أصلها، ما لم يكن هناك ما يضيف عليها التجدد، والسبب في هذا هو السياق.

**ثانيا: الجملة الفعلية:**

وهي الجملة التي تبدأ أصالةً بفعل تام، وركناها: الفعل والفاعل، أو نائب الفاعل، وتوضع لإفادة الحدوث في زمن مخصوص؛ كالماضي والمضارع مع الاختصار؛ أو تفيد الاستمرار والتجدد إذا دلت عليه القرائن؛ فالجملة الفعلية بأصل وضعها على التجدد في زمن معين مع الاختصار، فلا يستفاد من نحو: حضر محمد، إلا إثبات الحضور فعلا لمحمد في زمن مضى.

تفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لا بقريئة خارجة عنه، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه "مدلوله الثاني الحدث" لا تجتمع أجزاءه في الخارج، بل تتصرم وتنقضي شيئا فشيئا، ومن ثم كان الفعل مع إفادته الزمن يفيد أيضا تجدد

الحدث وحصوله بعد أن لم يكن، بخلاف الاسم، فإنه إنما يدل على الزمن المعين بقريئة أخرى، كأن يقال: أمس أو الآن أو غدا.

وقد يفيد الفعل سواء كان ماضياً أم مضارعاً التجدد والاستمرار إذا وجدت القرائن؛ كقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (آل عمران: ١١٠)، فالخيرية ما زالت مستمرة دوام تجدد هذه الأمة وبقاء البشرية على الأرض.

أركان الجملة: الجملة الاسمية أو الفعلية تحتاج إلى ركنين أساسيين اصطلح على تسميتهما (المسند والمسند إليه)، ولا يغني أحد منهما عن الآخر.

والركنان الأساسيان (المسند والمسند إليه) يبرزان معاني كثيرة وأغراضاً شتى مرتبطة بأحوال المخاطب والمتكلم تبعاً للمقام، فضلاً عن الجماليات الخاصة المتعلقة أيضاً بأحوال الإسناد.

### مواضع المسند إليه والمسند:

#### أولاً: مواضع المسند إليه:

المسند إليه: هو المُخْبَر عنه؛ أو المحكوم عليه؛ وهو الأصل في المعنى وعليه دوران الحدث وعنه يصدر؛ سواء وقع اسم ذات، أو معنى، أو مصدرًا، وهو معلوم من قبل السامع. ومواضعه هي:

١- المبتدأ: هو المسندُ اليه، الذي لم يسبقه عاملٌ، وهو الذي له خبر، وما له مرفوع يغني عن الخبر.

كقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) (السجدة: ٤).

وقال أبو الفضل الوليد من شعراء المهجر:



الحبُّ في الوصلِ لذاتٍ لها أجلٌ وفي التَّشَوُّقِ لذاتٍ بلا أجل

٢ . اسم كان وأخواته: كقولنا: كان عمر عادلاً؛ وكقوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) (التين: ٨)  
وقال المتنبي:

وأصبح شعري منهما في مكانه وفي عنق الحسناء يستحسن العقْدُ

٣- اسم إن وأخواتها: كقولنا: إن محمدا صادق؛ وكقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (يونس: ٤٤)؛ وكقول أحمد محرم: أَيْتَ الزَّلَازِلِ وَالصَّوَاعِقِ فِي يَدِي فَأَصَبَهَا لِلْغَافِلِينَ قَوَافِيَا

٤ . المفعول به الأول لفعل (ظن وأخواتها) كقولنا: أظن عليا محبوباً؛ كقوله تعالى: (ولا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون) (النور: ٥٧).  
وقال الفرزدق يهجو أصم باهلة، واسمه عبد الله بن الحجاج:

أَجْعَلِ دَارِمًا كَابِنِي دَخَانٍ وَكَانَا فِي الْغَنِيمَةِ كَالرَّكَابِ

ابنا دخان غني وباهلة، وكانوا يسبون بذلك في الجاهلية، كالركاب أي لا امتناع بهم كما لا تمتنع الركاب.

٥ . المفعول الثاني للأفعال المتعدية لثلاثة مفاعيل؛ كقولنا: علمت محمدا مجتهدا.

كقوله تعالى: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ) (الإسراء: ٦٢).

٦ . الفاعل: اسم مرفوع يقع بعد فعل مبني للمعلوم أو شبهه، ويدل على مَنْ فعل الفعل أو اتصف به، وذلك مثل: (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ)

(الجاثية: ٢٢)، وقوله: (مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ) (فاطر: ٢٨)؛ فلفظ الجلالة (الله) فاعل للفعل المبني للمعلوم (خَلَقَ)، و(ألوانه) فاعل لاسم الفاعل (مختلفٌ). وكقوله تعالى: (يَأْيُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) (النساء: ١٧٤) وفي قول المتنبي:

رمانى الدهر بالأرزاء حتى  
فصرتُ إذا أصابتنى سهامٌ  
فؤادى فى غشاءٍ من نبالٍ  
تكسرتِ النِّصالُ على النِّصالِ

٧- نائب الفاعل: اسم مرفوع يقع بعد فعل مبني للمجهول أو شبهه، وينوب عن الفاعل بعد حذفه، ويأخذ أحكامه، ومن أمثاله؛ قوله تعالى: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)، وتقول: محمدٌ محمودٌ فعله ، ف (الإنسان) نائب فاعل للفعل المبني للمجهول (خُلِقَ) ، و(فعله) نائب فاعل لاسم المفعول (محمودٌ). وكقوله تعالى: (رُئِيَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) (البقرة: ٢١٢) وقول الشاعر:

ولا عَيْبَ فيه لامرئٍ غيرَ أَنَّهُ  
تُعَابُ له الدنيا وليس يُعَابُ

٨. شبه الفاعل: يقع بعد كل اسم قام مقام الفعل المبني للمعلوم؛ كاسم الفاعل مثل: رأيت طاهراً قلبه، أو كالصفة المشبهة؛ نحو: مررت بالكريم نسبه، فلفظ (قلبه ونسبه) فاعل، ومنه قول أبي العلاء المعري:

غَيْرُ مُجِدِّ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي  
نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْتُمُ شَادِي

فالمسند إليه (نَوْح) سد مسد الخبر؛ لأنه جاء فاعلاً لاسم الفاعل (مجدي).

٩. شبه نائب الفاعل: يقع بعد كل اسم قام مقام الفعل المبني للمجهول؛ كاسم المفعول؛ نحو: رأيتُ المحمود خلقه. (خُلِقَ: نائب فاعل). وقال الشاعر:

وربما صَحَّتِ الأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ

٢ . مواضع المسند:

المسند: هو الذي يحقق مبدأ تثبيت العناصر الفنية بالمسند إليه، ويكسبه الصورة الجمالية الموحية.

هو المخبر به عن المسند إليه؛ أو المحكوم به، لأنه صفة في المعنى، وبه تتعلق الفائدة.

ومواضعه كثيرة؛ منها:

١ . **المبتدأ المكتفي بالمرفوع:** الأصل أن يأتي المبتدأ مسنداً إليه كما سبق، ولكنه قد يأتي مسنداً إذا اكتفى بمرفوع سد مسدّ الخبر؛ فالمرفوع هو الذي يغدو فاعلاً في المعنى (مسنداً إليه) بينما المبتدأ يحل محل الخبر في عملية الإسناد كقولنا: أقائم زيد؟!؛ فزيد: فاعل سد مسد الخبر وهو المسند إليه، لذلك كلمة (قائم) إن أعربت مبتدأ فهي مسند، وعليه قول الشاعر:

هُوَ وَلَا تَغْتَرَّرْ بَعَارِضِ سَلَمٍ

غَيْرُ لَاهٍ عِدَاكَ فَاطَّرِحِ الدَّ

(غير) مبتدأ، وهو مسند؛ لأنه اكتفى بمرفوعه الفاعل (عداك)، الذي جاء فاعلاً لاسم الفاعل (لاه).

٢ . **الخبر:** والخبر ما أُسِنِدَ الى المبتدأ، وهو الذي تتمُّ به مع المبتدأ فائدة، وكل خبر يتَّصِفُ بالمبتدأ يكون مسنداً كالخبر (مفيد) في قولنا: العلم مفيد؛ وكالخبر (بعيدة) في قول العرب: فلانةٌ بعيدة مَهْوَى القِرْطِ؛ والخبر (مثل) في قول عنتره يصف ساق أمه وشعرها:

وَالشَّعْرُ مِنْهَا مِثْلُ حَبِّ الفَلْفَلِ

السَّاقُ مِنْهَا مِثْلُ سَاقِ نَعَامَةٍ

٣ . خبر (إن وأخواتها): أينما وقع وكيف كان شكله فهو مسند، كقولنا: إن العلم نور، فلفظ (نور) خبر (إن) وهو مسند، وكذلك (شَجْرَةٌ) في قوله تعالى: (إِنَّهَا شَجْرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) (الصافات: ٦٤)

وكلمة (تبسم) في قول البحري خبر (كان) وهي المسند:

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لَصُبْحِهَا      تَبَسُّمٌ عَيْسَى حِينَ يَلْفُظُ بِالْوَعْدِ

والجار والمجرور (منهم) و(بعض) مسند في قول المتنبي:

فَإِنَّ تَفَقُّحَ الْأَنَامِ، وَأَنْتِ مِنْهُمْ      فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

وكلمة (جميل) في قول أبي خراش الهذلي يخاطب امرأته:

فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ      وَلَكِنَّ صَبْرِي - يَا أَمِيمَ - جَمِيلٌ

٤ . خبر كان وأخواتها: قد يأتي في خبر الأفعال الناقصة، لأن الأفعال الناقصة تعد من أدوات الربط، وليست من المسند إليه كالفعل التام؛ ومن ذلك قولنا: كان عمر حسن التدبير؛ وكذلك (جاثمين)، في قوله: (فأصبحوا في دارهم جاثمين) (الأعراف: ٩١)

وكقول خويلد بن مرة الهذلي:

فَإِنَّ أَكْ مَقْتُولًا، فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي      فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

فكلمة (حسن، مقتولاً، قاتلي) مسند.

٥ . المفعول به الثاني لفعل (ظن وأخواتها):

لما كان المفعول به الثاني في ظن وأخواتها خبراً في الأصل بقي المسند في الدلالة والحكم وإن نُصِبَ بها وصار مفعولاً؛ كقولنا: ظننت خالداً غائباً، وكقوله

تعالى: (وترى الجبال تحسبها جامدة) (النمل: ٨٨). وقوله: (إنا جعلناه قرآناً عربياً) (الزخرف: ٣)، وقوله: (وجعل الشمس سراجاً) (نوح: ١٦).

٦ . **المفعول به الثالث للفعل المتعدي لثلاثة مفاعيل:** قد تتعدى بعض الأفعال لثلاثة مفاعيل كالفعل (أرى، وأنبأ ونبأ، واتخذ...) . والمفعول الثاني والثالث في الأصل مبتدأ وخبر، أي مسند إليه ومسند؛ كقولنا: أنبأتُ عليا العلم نافعاً؛ وكقوله تعالى: (وكذلك يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم) (البقرة: ١٦٧). فلفظ (نافعاً، حسرات)، مسند.

٧ . **الفعل التام:** إذا جاء الفعل تاماً مبنياً للمعلوم أو مبنياً للمجهول وأياً كان نوعه ماضياً أم مضارعاً أم أمراً فهو مسند متصف بالفاعل، فمن المبنى للمعلوم والأمر قوله تعالى: (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (آل عمران: ٣١). أو كقول الشاعر:

لأستسهلنَّ الصَّغْبَ أو أدركَ المُنَى  
فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابرٍ

٨ . **اسم الفعل العامل عمل فعله:** اسم الفعل كلمة تدل على ما يدل عليه الفعل غير أنها لا تقبل علامته، وإما أن يكون بمعنى الفعل الماضي، نحو (هيهات) بمعنى بَعْدَ، وإما بمعنى المضارع نحو (أف) أي أتضجر، وإما بمعنى الأمر مثل (أمين) أي استجب.

كقوله تعالى: (هيهات هيهات لما توعدون) (المؤمنون: ٣٦). وهيهات تستعمل للماضي بمعنى بَعْدَ. وكقوله تعالى: (هاؤم اقرؤوا كتابيه) (الحاقة: ١٩). وهاؤم تستعمل للأمر (خذوا).

وقال الشاعر:

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة هيهات لست على الحجاب بقادر

فأينما ورد اسم الفعل وبأي صيغة فهو مسند، لأنه حلّ محلّ الفعل معنّى.

٩- المصدر النائب عن فعله: وينوب المصدر عن فعله سواء كان أمراً أم

مضارعاً؛ فيكون مسنداً؛ ففي الأمر قول قطري بن الفجاءة:

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا      فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

(صبراً) مصدر ناب عن الفعل (اصبر) فحل محله في كونه مسنداً.

# الذکر والحذف

## أولاً . أسلوب الذكر

الغرض من الذكر الاهتمام بالمذكور وتوجيه السامع إليه وكمال العناية به، فإذا دل اللفظ على معنى فيه؛ فالأصل ذكره، هذا التركيز على الذكر لبواعث بلاغية تتصل بعملية الإقناع والتوصيل من المتكلم إلى السامع. وهناك كثير من الدواعي البلاغية لذكر المسند إليه أوالمسند.

### أ . ذكر المسند إليه:

يذكر المسند إليه؛ ولا مقتضى للمتكلم للعدول عنه؛ لأن ذكره هو الأصل فهو محكوم عليه والفاعل في المعنى؛ ومنها:

#### ١. التلذذ بذكر المسند إليه:

ومنه قول الشاعر قيس ذريح في فراق محبوبته لبنى:

فِيَا قَلْبُ حَبْرِنِي إِذَا شَطَّتِ النَّوَى      بُلْبُنِي وَصَدَّتْ عَنْكَ مَا أَنْتَ صَانِعُ  
فَمَا أَنَا إِنْ بَأْتَتْ لُبَيْنِي بِهَاجِعٍ      إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ بِالنِّيَامِ الْمَضَاجِعُ  
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُوَاتِنَا      لُبَيْنِي وَلَمْ يَجْمَعْ لَنَا الشَّمْلَ جَامِعُ

ذكر المسند إليه (لبيني) في الأبيات، وهو تصغير لبنى تدليلاً، وكان من الممكن أن يحذفه استغناءً بذكره، ولكنه ذكر محبوبته تلذذاً، وإظهاراً لهيامه بها.

#### ٢-التقرير والإيضاح:

فالمتكلم يسعى إلى إثبات حكم ما وتقريره في ذهن السامع دون غيره؛ كقوله تعالى: (أولئك على هدى من ربهم، وأولئك هم المفلحون) (البقرة: ٥). فاسم الإشارة المبتدأ (أولئك) وهو المسند إليه قد تكرر للتوضيح والتنبيه إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها، وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل



تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة، وما فيه من معنى البعد للإشعار  
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل.

### ٣ . ضعف الثقة بالقرينة:

قد لا يستطيع المتكلم التعويل على القرينة؛ لضعفها في الدلالة؛ أو لضعف فهم  
السامع؛ كقوله تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم... فويل لهم مما كتبت  
أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (البقرة: ٧٩). فإثبات المسند إليه (ويل) غير مرة يؤكد  
ضعف الثقة بفهم السامع، واستمرار بالجحود.

### ٤ . الرد على المخاطب:

ويتوجه فيه المتكلم إلى المستمع في أمر ما يستدعي الحيرة، أو التكذيب.  
يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) رداً على الكفار: أنا النبي لا كذب،  
أنا ابن عبد المطلب، ومثل قول عمرو بن كلثوم وقد تخيل أن قبائل العرب لا تعترف  
بمنزلة قومه فقال:

ونحن الحاكمون إذا أطعنا      ونحن العازمون إذا عُصينا

### ٥ . التعريض بغباء السامع:

إذا كان المخاطب ما يلقي إليه من أمور، إذ لا بد من التصريح حتى يصل إليه  
ما يريد المتكلم إيصال إليه، ؛ كقول الشاعر؛ لمن سأل ماذا يفيد الجد؟:

الجدُّ يُدني كُلَّ أمرٍ شاسِعٍ      والجدُّ يفتح كل بابٍ مُغلقٍ

### ٦ - التعظيم:

ويستدل من سياق ذكر المسند إليه أنه يفيد به تعظيماً وإجلالاً؛ كقول الشاعر،  
وكانه يرُدُّ على سؤال سائل عن قومه: لماذا تراجعت منزلتهم؟:

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ

وقال مروان بن أبي حفصة في مدح معن بن زائدة:

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في بطن حَقَّانِ أَشْبَلُ

هُمُ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَارَهُمْ بَيْنَ السِّمَاطِينَ مَنْزِلُ

٧-التبرك:

كأن يبدأ المتكلم باسم (مسند إليه) فيه التبرك، والالتماس؛ والتقدير؛ كقوله تعالى:

(اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (الشورى: ١٥)

محمد (صلى الله عليه وسلم) رسولنا وحبیبنا وشفیعنا.

ب-ذكر المسند:

يذكر المسند أيضا لمثل هذه الدواعي التي ذكر معها المسند إليه، ومن هذه

الدواعي البلاغية:

١-التقرير:

فالمتكلم يسعى إلى إثبات الخبر (المسند) للمبتدأ (المسند إليه) دون غيره، على

وجه التقرير ونسبة الصفة إليه كقولنا: الصحة خير من المال، وكقوله تعالى: (هُوَ

الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا) (يونس: ٥) فالمسند (الذي) متصف بنسبته

إلى المسند إليه (هو) على وجه تقرير جعله الشمس ضياء والقمر نورا ونسبته إليه

دون شرك أو منازع.

٢-ضعف الثقة بالقرينة:

يتعلق ضعف الثقة بالسامع وقدرته على الفهم؛ أو بقصور القرينة ذاتها، مما يؤدي إلى اللبس في الكلام؛ مما يجبر المتكلم على إثبات المسند كقوله تعالى: (كشجرة طيبة أضلها ثابت وفرعها في السماء) (إبراهيم: ٢٤) فلو حذف المسند (ثابت؛ في السماء) لما تنبه السامع على دلالة المسند إليه (أصل؛ فرع)، ضعف القرينة هو الذي جعل الله سبحانه يثبت المسند للمسند إليه لئلا يتجه المعنى اتجاهاً آخر.

ومثله قول الشاعر:

**إنما الدنيا متاع زائل      فاقتصد فيه وخذ منه ودع**

فقد قصر المتاع (المسند) على المسند إليه (الدنيا) ليزيل أي معنى آخر عنها.

**٣- الرد على المستمع:**

يكون إثبات المسند نتيجة لسؤال مثار في ذهن المتخيل، أو في سياق الجملة على لسان المخاطب أو السامع كقوله تعالى: (قال: من يحيي العظام وهي رميم؟ قل: يحييها الذي أنشأها أول مرة) (يس: ٧٨-٧٩) فالسؤال أثبت المسند للمسند إليه (وهي رميم) ثم جاء المسند في الإجابة فعلاً: (قل-يحييها- أنشأها) وكقول الشاعر:

**تسألني ما الحبُّ؟ قلتُ:      مُنوعَةُ الأجناسِ موطنها القلبُ**

**عواطفُ**

**٤- أن يفيد المسند تجددًا في الحدث:**

لعل من خصائص المسند في بنيته التركيبية أنه يأتي فعلاً، أو ظرفاً، أو جاراً ومجروراً، فضلاً عن كونه اسماً... وقد يفيد التجدد في الزمن، وربما يفيد ثباته مطلقاً

في حالة دلالة القرينة في الفعل عليه. ويتجدد الحدث سواء كان الفعل ماضياً أم مضارعاً؛ كقوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) (النساء: ١٤٢) فالفعل (يخادعون) يفيد التجدد مرة بعد مرة. أما المسند في قوله: "وهو خادعهم" فهو يفيد الثبوت مطلقاً، فلا يقيد بزمان.

#### ٥- أن يفيد المسند زمناً مخصوصاً:

قد يفيد المسند اتصاف الحدث بزمن مخصوص سواء اسماً أم فعلاً؛ أم قيد بأداة أو فضلة تفيد تخصيصه بهذا الزمن.

كقوله تعالى: (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) (هود: ٨١)؛ فجاء المسند (الصبح) ليفيد زمناً مخصوصاً بأن وقوع العذاب سيكون صباحاً. يقول أبو السعود: "أي موعده عذابهم وهلاكهم تعليلٌ للأمر بالإسراء والنهي عن الالتفات المُشعرِ بالحث على الإسراع... وإنما جعل ميقات هلاكهم الصبح لأنه وقتُ الدعة والراحة فيكون حلولُ العذاب حينئذٍ أفضحَ ولأنه أنسبُ بكون ذلك عبرةً للناظرين".

ومثل قول الشاعر:

وأشرقَ عن بشرٍ هو النور في      وصافى بأخلاقٍ هي الطلُّ في الصبحِ  
الضحى

قيد هنا المسند بزمن معين (في الضحى - في الصبح).

#### ثانياً - أسلوب الحذف:

يرجع حسن العبارة في كثير من التراكيب إلى ما يعتمد إليه المتكلم من حذف لا يغمض به المعنى، ولا يلتوي وراءه القصد، وإنما هو تصرف تصفى به العبارة،

ويشتد به أسرها، ويقوى حبكها، ويتكاثر إبحاؤها، ويمتلئ مبناها، وتصير أشبه بالكلام الجيد، وأقرب إلى كلام أهل الطبع، وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس، وقدرة البيان، وصحة الذكاء، وصدق الفطرة.

والحذف -لغة-: الإسقاط وطرح الشيء وقطعه؛ حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعه من طرفه؛ وخفف منه.

والحذف -اصطلاحاً-: إسقاط بعض الكلام أو كله لقرينة لفظية أو معنوية تدل عليه.

### أ- حذف المسند إليه:

يرى عبد القاهر الجرجاني أن في حذف المسند والمسند إليه أحدهما أو كليهما إثارة جمالية بديعة غير موجودة في ذكرهما؛ وذلك لأمر بلاغية كثيرة؛ تطورت على يد البلاغيين بعده، ومنها في حذف المسند إليه:

#### ١- الاختصار:

قد يُضمَر المتكلم الفاعل، أو الفعل، أو المبتدأ للعلم به، ولدلالة الإعراب عليه كقولنا: أهلاً وسهلاً؛ فالنصب دل على أن المحذوف يقدر بنحو: جنّت أهلاً، ووطئت سهلاً؛ وكقول ذي الرّمّة:

ديار مية؛ إذ ميّ تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

وقد أنشده بنصب (ديار) فأضمر المسند والمسند إليه، كأنه قال: انكر ديار مية. ويترد حذف المبتدأ في (القطع والاستئناف). وإذا استعمل العرب الكلام على هذه الوجه من البناء "أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ" وتكون القرينة لفظية أو معنوية سابقة على الخبر الذي حذف المبتدأ فيه. ثم عرض جملة من الشواهد

الشعرية منها قول عمر بن أبي ربيعة:

هل تعرف اليوم رسم الدار والظلالا      كما عرفت بجفن الصيقل الخلالا

دار لمروة إذ أهلي وأهلهم      بالكانسيّة نرعى اللهو والغزلا

كانه قال: تلك دار لمروة، فحذف المسند إليه (تلك) لدلالة ما تقدم عليه في البيت الأول، وهي دلالة لفظية وليست إعرابية.

ومنه قول تعالى: (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَاصْكَتْ وَجَهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) (الذاريات: ٢٩)؛ ففي قوله: عجوز عقيم، أي: أنا عجوز عقيم، وسبب الحذف التركيز على الخبر (المسند) عجوز، فلا حاجة إلى الإشارة إلى ضمير المتكلم؛ ولكن الموقف أوضح الغرابة والعجب من البشرى بالحمل في هذه السن، فحذف المسند إليه لإبراز هذا العجب.

ومن أمثلة الشرط قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (فصلت: ٤٦) فالجملة الاسمية الواقعة جواباً للشرط المقترنة بالفاء يحذف المسند إليه فيها، كما هو عليه في الآية، والتقدير: فعمله لنفسه وإساءتها عليها.

## ٢- الحذف لتيسير الإنكار:

هذا أسلوب بلاغي طريف يتيح للمتكلم أن ينكر كل ما قاله سواء كان مدحاً أم قدحاً. وغالباً يكون المسند إليه قد سبق ذكره، ولكن تشيخ عن إعادة ذكره ليتأتى لك أن تقول ما تشاء. فيكون المسند إليه محذوفاً للعلم به من قبل الناس، والسياق يدل عليه؛ ثم يأتي الخبر من جديد بلا مسند إليه؛ كما في قول الأقيشر الأسدي في ابن عم له موسر، سأله فمنعه فشكاه إلى الناس فلطمه؛ فأنشأ يقول:

وليس إلى داعي الندى بسريع

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه

وليس لما في بيته بمضيع

حريص على الدنيا، مضيع لدينه

فالمسند إليه (المبتدأ) حذف في (سريع، وليس إلى، حريص، مضيع، وليس لما)،  
فالشاعر مصر على عدم ذكر المسند إليه ليتيسر له إنكار ما قاله إذا دعاه داع له.

### ٣- صون المسند إليه عن الذكر تعظيماً:

قد تكون منزلة المسند إليه عظيمة، أو أن المتكلم أراد مدحه دون أن يصرح  
باسمه صوناً له عن لسانه وتعظيماً في الإخبار عن صفاته؛ كما هو في مدح  
الفرزدق للإمام زين العابدين (رضي الله عنه)؛ من أول القصيدة إلى آخرها؛ ومما  
ورد في هذا المجال قوله:

يَزِينُهُ اثْنَانِ: حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشِّيمِ

سهل الخليفة لا تخشى بوادره

حلو الشمائل، تحلو عنده نعم

حمال أثقال أقوام إذا افتدحوا

أراد: هو سهل الخليفة، هو حمال أثقال، هو حلو الشمائل.

والتحقير: مثل قوله تعالى: "فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً، أو كذبَ بآياته"  
(الأعراف: ٣٧) وقوله تعالى: (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا  
دعاءً ونداءً، صمٌّ بكمٌ عمي فهم لا يعقلون) (البقرة: ١٧١) أي: (هم صمٌّ) رفع على  
الذم؛ لأنهم في تقليدهم لأبائهم كمثل البهائم لا تسمع إلا ظاهر الصوت.

### ٤- ضيق المقام عن ذكره:

ويتجه المتكلم إلى هذا الغرض بسبب التضجر أو التوجع أو شيء آخر، ولهذا

يحذف المسند إليه كقول الشاعر:

قال لي: كيف أنت؟ قلتُ: عليلٌ سهراً دائماً وحُزناً طويلاً

لم يقل: أنا عليل؛ لضيق صدر البيت عن الإطالة؛ وبسبب ما يعانيه من تباريح الهوى.

#### ٥-المحافظة على الوزن:

قد يؤدي الحذف وظيفة جمالية كما نراه في الحذف الذي يوصل إلى إقامة وزن البيت الشعري؛ والإتيان بقافية متلائمة النسق مع سياق البيت والصدر كقول لبيد بن ربيعة:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن تُردَّ الودائعُ

فلو قيل: أن يرد الناس الودائع؛ لاختل الوزن والقافية في وقت واحد؛ وصارت القافية منصوبة بدلاً من الرفع، وذلك يذهب جمالها وبهاءها.

#### ٦-المحافظة على السجع:

يحذف المسند إليه أو أي كلام آخر لإقامة السجع، كما عليه قولنا: من طابت سريرته حُمدت سيرته. فقد حذف المسند إليه الحقيقي وهو الفاعل في الجملة الثانية، ولم نقل: حمد الناس سيرته؛ للمحافظة على السجع المستلزم للرفع.

ب-أسلوب حذف المسند:

يذكر المسند في الكلام لكون ذكره هو الأصل، وليس في الكلام ما يقتضي العدول عنه، وذلك كقولك ابتداء: زيد صالح، فتذكر المسند؛ لأنه ليس في الكلام ما يدعو إلى حذفه، وملاحظة مقتضى المقام هنا هي المزية البلاغية.

#### ١-الاحترار عن العبث:

يترك المتكلم في هذا الغرض ما لا ضرورة له؛ وهذا يكسب الكلام بهاءً وجمالاً،



ولو ذكر المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة إليه، وكل ما ورد من استعمال العرب في ترك المسند يجري هذا المجرى؛ كقوله تعالى: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) (التوبة: ٣) أي ورسوله بريء منهم أيضاً.

ويكثر حذف المسند (الخبر) في النفي؛ كقول الشمردل بن شريك الليثي:

**لهفي عليك للهفة من خائفٍ      يبغي جوارك حين ليس مجيرُ**

أي: ليس له مجير. ويحذف الخبر مع كان بعد (إن)؛ كقولنا: الناس يجزون بأعمالهم إن خيرٌ فخير؛ أي إن كان في عملهم خير فخير. فالسياق يكشف عن المحذوف؛ وقد يكون استعمال المحذوف شائعاً في الأمثال لاختصارها كقول العرب: رميةٌ من غير رامٍ، أي هذه رمية.

## ٢ - ضيقُ المقامِ عن ذكر المسند:

قد يستغني الكلام عن المسند لأمر كثيرة؛ للاختلاف في العامل مع قرب جواره، أو لعلم المخاطب به. فالمقام يقتضي الحذف وعدم الإطالة؛ لأنه لا ضرورة لها؛ ويضيق المقام عنها فتحذف؛ ويكون في الشعر اشد ضرورة لإقامة الوزن كقول الشاعر:

**نحن بما عندنا وأنت بما      عندك راضٍ والرأي مختلفُ**

أي: نحنُ بما عندنا راضون، وأنتُ بما عندك راضٍ؛ فحذف خبر المبتدأ (نحن)، وعليه قول ضابئ بن الحارث البرجمي:

**فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ      فَإِنِّي وَقْيَاراً بِهَا لَغَرِيبُ**

أي فإنني لغريب، وقيار غريب أيضاً، وقيار: اسم فرسه، فحذف المسند؛ لأن الموقف موقف شكوى وتحسر يناسبه الحذف لا البسط.

٣- اتباع الاستعمال الوارد عن العرب، قال تعالى: (يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) (سبأ: ٣١)، أي: لولا أنتم موجودون.  
جرى العرب على حذف المسند ولاسيما الخبر في عدد من الأساليب اللغوية والبلاغية، وحذف المسند (الخبر) وجوبا بعد الشرط في (لولا-لوما).

# الأسلوب الخبري والإنشائي

## الأسلوب الخبري والإنشائي

الكلام قسماً: خبر وإنشاء.

الخبر: ما يصح أن يوصف قائله بالصدق، أو الكذب؛ فإذا طابق الواقع كان صادقاً، وإذا خالفه كان كاذباً.

أما الإنشاء: فلا يوصف قائله بالصدق أو الكذب.

**أولاً: الأسلوب الخبري:**

هو ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته.

ولكل خبر تتلفظ به نسبتان:

١-نسبة تفهم من الخبر، ويدل عليها الكلام، وتسمى النسبة الكلامية.

٢-نسبة أخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر، وتسمى بالنسبة الخارجية، فإن طبقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية في الإيجاب أو في النفي كان الكلام صادقاً، وإلا كان كذباً. مثلاً إذا قلنا: "الشمس طالعة" وكانت هي في الواقع والخارج كذلك سمي الكلام صادقاً، وإن لم تكن طالعة سمي الكلام كذباً، فصدق الخبر إذاً مطابقتة الواقع والخارج، وكذبه عدمها.

يلقى الخبر لغرضين:

١- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى فائدة الخبر،

فتقول: محمد مجتهد لمن لا يعرف ذلك.

٢- إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى لازم الفائدة، تقول

لصديقك: إن تقديرك مرتفع هذا العام.

ومن الأغراض البلاغية للخبر: النصح، المدح، الفخر، التهديد، التحسر،

السخرية، التحذير، الاستعطاف، والتحدي والتعجيز.

ومنها:

- إظهار الأسف والحسرة نحو: على شيء محبوب؛ كقوله تعالى: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا  
قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ) (أل عمران: ٣٦).

على شيء مضى؛ كقول الشاعر:

ذهب الشباب فما له من عودة      وأتى المشيب فأين منه المهرب

وكقول الآخر:

أصبت بسادة كانوا عيونا      بهم نسقي إذا انقطع الغمام

- إظهار الضعف نحو: كقوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: (أَلِ رَبِّ إِنِّي

وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) (مريم: ٤).

وكقول الشاعر:

قَدْ كُنْتُ عُدَّتِي الَّتِي أَسْطُو بِهَا      وَيَدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعِدِي

- الاسترحام والاستعطاف نحو: كقول أبي العتاهية:

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي      مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي  
وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي      بَعْفُوكَ إِن عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي

- الفخر: قول أمية بن أبي الصلت:

أَنَا الْقَائِدُ الْحَامِي الدِّمَارَ وَإِنَّمَا      يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

الدِّمَارُ: ما تجب حمايته، كالأهل والعرض، والأحساب: ما يَعُدُّه المرء من مناقب

وشرف الأباء.

- المدح والثناء: قول كعب بن زهير:

إنَّ الرسولَ لنورٌ يستضاءُ به مَهْدٌ من سيوفِ الله مسلول

- الوعظ والإرشاد نحو قوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَإِنْ) (الرحمن: ٢٦).  
وقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " الْمُسْلِمُ مِنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ  
ويده "

- إظهار الفرح: كقول أهل الجنة فرحين بما آتاهم الله من فضله، قال تعالى :  
(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ  
فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (الزمر: ٧٤).

- الحث على العمل والحركة لمصلحة؛ كقوله تعالى: (كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ  
رَهِينٍ) (الطور: ٢١)

- التحذير: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنْبَعُضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ  
الطَّلَاقُ " سنن ابن ماجة وأبي داود

- التوبيخ: كقوله تعالى عن جواب المؤمنين للمنافقين في موقف الحشر:  
(يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ  
الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) (الحديد: ١٤).

خروج الخبر عن أصل معناه للدلالة على الأمر والنهي والدعاء:

(١) فقد يُراد من الخبر في الجملة الخبرية الأمر، ومنه:

قال تعالى: (والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)  
(البقرة: ٢٣٣).

أي: وليرضع الوالدات أولادهن.

(٢) وقد يُراد من الخبر في الجملة الخبرية النهي، ومنه:

قال تعالى: (الحج أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (البقرة: ١٩٧).

أي: فمن فرض فيهن الحج فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل في الحج. وقد يراد من الخبر في الجملة الخبرية الدعاء.

قولُ يوسف عليه السلام لأخوته يدعو لهم بالمغفرة، قال تعالى: (قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (يوسف: ٩٢)

يغفر الله لكم: جملة خبرية أريد منها الدعاء لهم بأن يغفر الله لهم.

طريقة إلقاء الخبر:

ركب الفيلسوف الكندي إلى أبي العباس المبرد، وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ويقولون إن عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالأول إخباره عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، فما أثار الفيلسوف جوابا.

فقد فطن العرب إلى أن لكل مقام مقال، فما يقال في الأولى لا يقال في الثانية وما يصلح فيه الإيجاز لا يصلح فيه البسط والإطناب.

وللمخاطب ثلاث حالات:

١- خالي الذهن من الحكم، ومن التردد فيه فيلقى إليه الكلام بسيطا سهلا من غير أدوات التوكيد يوافق حال المخاطب الذي يسلم بالخبر ولا يجادل فيه دون تردد أو شك، ويسمى هذا الضرب ابتدائيا، نحو: محمد مجتهد.

٢- المتردد في ثبوت الحكم وعدمه بألا يترجح عنده هذا على ذلك، وحينئذ يحسن تقوية الحكم بمؤكد ليزيل ذلك التردد، ويسمى هذا الضرب طلبيا، نحو : إن محمدا مجتهد.

٣- المنكر للحكم، وهذا يجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره، قوة وضعفا، ذاك أن المتكلم أحوج ما يكون إلى الزيادة في تثبيت خبره إذا كان هناك من ينكره ويدفع صحته، فهو حينئذ يبالغ في تأكيده حتى يزيل إنكاره، يدل على ذلك قصة الرسل الثلاثة الذين أرسلهم إلى أهل قرية يقال: إنها إنطاكية، ويقال: إن الرسل الثلاثة هم من الرسل السبعين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام إلى الأقاليم، لنشر دين الله في الأرض.

فقال الله عز وجل فيها:

(واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ٥ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ٥ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ٥ قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون ٥ وما علينا إلا البلاغ المبين) (يس: ١٣ - ١٧) .

ففي ابتداء الأمر عرض الرسولان على أصحاب هذه القرية أنهما رسولان يبلغان تعاليم الدين، فكان بيانهما من قبيل الإخبار الابتدائي غير المقرون بمؤكدات لفظية. فلما كذبهما القوم عززهما الله برسول ثالث، وقالوا لهم: (إننا إليكم مرسلون) فجاء الإخبار مؤكدا تأكيدا متوسطا، لأن إنكار القوم كان في بدايته.

والتأكيد في هذه الجملة الخبرية قد جاء بحرف التأكيد "إن" ويمكن أن نفهم من تقديم (إليكم) على عامله (مرسلون) تأكيدا آخر، لأن فيه معنى القصر، أو زيادة



الاهتمام، وكلاهما يفيد تأكيدا، والمؤكد الثالث كون الجملة جملة إسمية.  
ولما أصر القوم على تكذيب الرسل الثلاثة، زاد الرسل جملتهم الخبرية تأكيدا،  
فقالوا: (ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون) ، ونحو قولنا : إن محمدا لمجتهد ، ويسمى هذا  
الضرب إنكاريا.

وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ولذلك صور كثيرة، منها:

١-تنزيل غير السائل منزلة السائل، فيؤكد له الكلام إذا تقدم ما يشير إلى حكم  
الخبر فتستشرف نفسه وتتطلع إليه استشراف الطالب المتردد، نحو قوله تعالى: (وَلَا  
تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) فحين تقدم قوله: واصنع الفلك بأعيننا،  
وقوله: ولا تخاطبني، صار المقام مقام تردد بأن القوم هل حكم عليهم بالإغراق؟  
فقيل: إنهم مغرقون.

٢-تنزيل من لا ينكر الخبر منزلة من ينكره تهكما به إذا لاح عليه شيء من  
أمارات الإنكار؛ كقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ) (المؤمنون: ١٥)

٣-تنزيل المنكر كأنه غير منكر، فلا يعتد بإنكاره؛ لأن أمامه من الدلائل  
الساطعة والبراهين القاطعة، ما فيه مقنع له لو أزال تلك الغشاوة عن عينيه والتفت  
إلى ما يحيط به، وعليه قوله تعالى خطابا لمنكري الوجدانية: (وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) إذ  
العقل قاض بأن تعدد الآلهة يقتضي تخالف أفعالهم لاختلاف علومهم وإرادتهم، وكل  
منهم له التصرف في السموات والأرض، والقدرة على إيجاد الممكنات فتضارب  
أفعالهم ويفسد نظام الكون، والمشاهد أنه على أتم نظام، فهو الواحد لا شريك له.

**ثانيا: الأسلوب الإنشائي:**

الإنشاء لغة: الإيجاد.

وفي الاصطلاح: كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته، نحو اغفر - وارحم، ولا تكذب، فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب.

الإنشاء نوعان:

إنشاءٍ طلبي، وإنشاءٍ غير طلبي.

الإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون: بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، وكذا يكون برَبِّ ولعلّ، وكَم الخبرية.

وعلماء البلاغة لا يبحثون عن الإنشاء غير الطلبي، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

الإنشاء الطلبي: هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

وأنواعه هي، الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

أولاً : الأمر:

الأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء مع الإلزام ، وله أربع صيغ:

(١) فعل الأمر - كقوله تعالى : ( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ )

(الأعراف : ١٩٩)

(٢) والمضارع المجزوم بلام الأمر - كقوله تعالى : ( لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ )

(الطلاق : ٧)

(٣) واسم فعل الأمر، كقوله تعالى : ( عَلَيْنِكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يُضْرِكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا

اهْتَدَيْتُمْ ( المائدة : ١٠٥ )

(٤) والمصدر النائب على فعل الأمر نحو:

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلود بمُستاع.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى: تفهم من سياق

الكلام :

- كالدعاء: في قوله تعالى : ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) (الفرقان: ٧٤)

- والالتماس: كقول الشاعر:

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب

- والإرشاد : كقوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

فَاكْتُبُوهُ ) (البقرة : ٢٨٢) .

- التعجيز : كقوله تعالى: ( قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) (القصص: ٤٩)

-الإباحة : كقول الشاعر:

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور

- التسوية : كقوله تعالى: ( أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ) (التوبة: ٥٣)

- الإكرام - كقوله تعالى : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ

(الحاقة: ٢٤)

- والإهانة : كقول الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

-التمني: كقول الشاعر :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي      بصبح وما الاصبح منك بأمثل

الاعتبار : كقوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُجْرِمِينَ)(النمل:٦٩)

ثانيا : النهي :

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وليس له إلا صيغة واحدة، هي:

المضارع، مع لا الناهية، نحو: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ

دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) (١١٣ هود).

ويستعمل النهي في معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الكلام ، منها:

- الدعاء: كقوله تعالى : (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(المؤمنون : ٩٤)

- الإرشاد: كقول الشاعر:

إذا نطق السفية فلا تجبه      فخير من إجابته السكوت

- التوبيخ: نحو: قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله      عار عليك إذا فعلت عظيم

- التسلية والصبر: كقول الشاعر :

ولا تجزع لحادثة الليالي      فما لحواث الدنيا من بقاء

- التيئيس: كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (التحريم :٧)

- التمني، كقول الخنساء:

أعيني جودا ولا تجمدا      ألا تبكيان لصخر الندى

### ثالثاً: الاستفهام

طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وأدواته " الهمزة " و"هل".

-الهمزة:

يطلب بالهمزة أحد أمرين:

(أ) التصور، وهو إدراك المفرد، وفي هذه الحال تأتي الهمزة متلوة بالمسئول عنه ويذكر له في الغالب معادل بعد أم.

(ب) التصديق وهو إدراك النسبة، وفي هذه الحال يمتنع ذكر المعادل.

نقول:

أأنت الناجح أم أخوك؟

حيث أداة الاستفهام هي الهمزة تجد أن المتكلم هنا يعرف النسبة التي تضمنها الكلام، ولكنه يتردد بين شيئين ويطلب تعيين أحدهما فهو يعرف أن النجاح واقع فعلاً وأنه منسوب إلى واحد من اثنين، المخاطب أو أخيه، فهو لذلك لا يطلب معرفة النسبة، وإنما يطلب معرفة مفرد، وينتظر من المسئول أن يعين له ذلك المفرد ويدل عليه، ولذلك يكون جوابه بالتعيين فيقال له: "أخي"، مثلاً، فالهمزة هنا للتصور.

وفي قولنا: أأسير السحب؟

المتكلم هنا متردد بين ثبوت النسبة ونفيها، فهو يجهلها ولذلك يسأل عنها ويطلب معرفتها، فهنا يتردد المتكلم بين ثبوت السير للسحب ونفيه عنه ولذلك يطلب معرفة هذه النسبة. ويكون جوابه بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي، وإذا تأملت الأمثلة هنا لم تجد للمسئول عنه وهو النسبة معادلاً، فالهمزة هنا للتصديق.

لذلك يتبين أن للهمزة استعمالين: الأول: إذا طلب بها معرفة مفرد، وتسمى معرفة

المفرد تصورا والثاني: إذا طلب بها معرفة نسبة، وتسمى معرفة النسبة تصديقا.

هل:

يطلب بهل التصديق ليس غير، ويمتتع معها ذكر المعادل.

كما في قولنا: هل ينجح الكسول؟

فالمتكلم متردد في معرفة النسبة هل هي الإثبات أو النفي؛ لذلك تكون الإجابة بنعم في الإثبات، ولا في النفي.

للاستفهام أدوات أخرى غير الهمزة وهل، وهي: من، ما، متى، أيان، كيف، أين، أنى، كم.

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعان أخرى تستفاد من سياق الكلام كالنفي، والإنكار، والتقدير والتوبيخ والتعظيم، والتحقير والتعجب، والتسوية والتحسر والتشويق.

- النفي: يقول البحري :

**هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها وشيكا وإلا ضيقة وانفراجها؟**

الشاعر هنا لا يسأل عن شيء، وإنما يريد أن يقول ما الدهر إلا شدة سرعان ما تتجلي.

والغمرة الشدة وانجلاؤها: زوالها، ووشيكا سريعا.

يقول المتنبي:

**أتلتمس الأعداء بعد الذي رأيت قيام دليل أو وضوح بيان**

ينكر الشاعر على الأعداء ارتيابهم قوة ممدوحه والتماسهم البراهين على انتصاراته بعد رؤيتهم له وهو يقهر أعداءه.

التقرير : يقول البحري :

أَلَسْتَ أَعْمَهُمْ جُوداً، وَأَزْكَأَ هُمْ عُوداً، وَأَمْضَاهُمْ حُسَاماً

فالشاعر لا يأل وإنما يقر لممدوحه الجود والقوة والشجاعة على أعدائه.

-التحسر: يقول المتنبي في الرثاء:

مَنْ لِمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسَّرَى فَقَدْتَ بِفَقْدِكَ نَيْرًا لَا يَطْلُعُ

وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضِّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ

المحافل: المجامع، والجحافل: الجيوش، والسرى: مشي الليل، ويريد به الزحف

على الأعداء.

التوبيخ والتفريع: يقول شوقي:

إِلَامَ الْخُلْفِ بَيْنَكُمْ إِلَّا مَا؟ وَهَذِهِ الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامَا

يلوم الشاعر هؤلاء على تماديهم في الشقاق واستمرارهم في التخاذل والتنافر

والضجيج والصخب بلا فائدة.

- التعظيم: يقول الشاعر

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فِتَى أَضَاعُوا؟ لِيَوْمِ كَرِيهَةِ وَسَدَادِ نَعْرِ

يريد الشاعر أن يبين مكانته في قبيلته وقت الحروب والشدائد.

وقال الشاعر:

فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي أَطْنِينُ أَجْنِحَةِ الدُّبَابِ يَضِيرُ

التعجب: يقول أبو تمام:

مَا لِلْخُطُوبِ طَغَتْ عَلَيَّ كَأَنَّهَا جَهَلْتُ بِأَنَّ نِدَاكَ بِالْمُرْصَادِ

## رابعاً: النداء:

والنداء: هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب كلمة أدعو، والغاية منه أن يصغى من تناديه إلى أمرٍ مهم.

وأدوات النداء ثمان: "أ - أي - يا - آ - آي - أيا - هيا - وا".

- أما "أ" -أي" فلنداء القريب، وأما "أيا - هيا -آ" فلنداء البعيد، وأما "يا" فالراجح أنها موضوعة لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، وقيل مشتركة، وتستعمل "وا" للندبة، وهي التي ينادى بها المندوب المتفجع عليه، وتستعمل في الندبة أيضاً "يا" عند أمن الالتباس بالنداء الحقيقي.

والأصل في نداء القريب أن ينادى بالهمزة أو أي. وفي نداء البعيد أن ينادى بغيرهما من باقية الأدوات، غير أن هناك أسباباً بلاغية تدعو إلى مخالفة هذا الأصل، ومثل ذلك:

-تنزيل البعيد منزل القريب، لقرب منزلته:

يقول أبو الطيب المتنبّي:

أَمَالِكِ رِقِي وَمَنْ شَأْنُهُ هِبَا      تُ اللُّجَيْنِ وَعِثْقُ الْعَبِيدِ  
دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ      وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ

أي: يا من يملك عبوديتي ويا من شأنه أن يهب الفضة ويعتق العبيد، دعوتك عند انقطاع الرجاء من غيرك وقرب الموت كحبل الوريد وهو عرق في العنق، فالشاعر أراد أن يبين أن المنادى على الرغم من بعده في المكان، قريب من قلبه مستحضر في ذهنه لا يغيب عن باله، فنزله منزل القريب وناداه بالهمزة موضحاً هذا القرب من قلبه.



- تنزيل القريب منزلة البعيد لعلو منزلته: قال تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (يوسف: ٤)  
وقال تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)  
(القصص: ٢٦)

نزل القريب منزلة البعيد وهذا واضح من استعمال حرف النداء (يا)، إظهارا لعلو  
المنزلة ورفعة المكانة.

- تنزيل القريب منزلة البعيد لغفلته وانصرافه عن الصواب:  
يقول أبو العتاهية:

أيا من عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العمر في قيل وقال  
وأتعب نفسه فيما سيفنى يجمع من حرام أو حلال  
هب الدنيا تقاد إليك عفواً أليس مصير ذلك للزوال؟

فائدة: وكثيرا ما يلي النداء أمر أو نهي أو استفهام أو إخبار.

الأمر: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ) (البقرة: ٢١)

النهي: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا  
وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة: ١٠٤)

الاستفهام: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ  
عَذَابِ أَلِيمٍ) (الصف: ١٠)

الإخبار: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)  
(فاطر: ١٥)

يقول الزمخشري: "كثر في القرآن النداء بـ (يا أيها) دون غيرها لأن فيها أوجها من التأكيد، وأسبابا من المبالغة، منها:

- ما في "يا" من التأكيد والتنبيه.

- ما في "ها" من التنبيه.

- وما في التدرج من الإبهام في "أي" إلى التوضيح.

وقد يخرج النداء عن المعنى الأصلي الموضوع له، فيستعمل في أغراض حسب السياق والقرائن، كأن يستعمل في الزجر واللوم، أو التحسر والتأسف والتفجع والندم أو الندبة، أو الإغراء، أو الاستغاثة، أو اليأس وانقطاع الرجاء، أو التمني، أو التذکر، أو التضجر، أو الاختصاص، أو التعجب، وغير ذلك.

- التحسر: قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذتَ مَعَ الرِّسُولِ سَبِيلًا) (الفرقان: ٢٧)

- التمني: قال تعالى حكاية عن قوم قارون ومن حوله: (يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (القصص: ٧٩)

- التعجب: قال تعالى: (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) (هود: ٧٢)

ويقول أبو العلاء المعري:

فَوَا عَجَبًا كَمْ يَدَّعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ      وَوَا أَسْفًا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلٌ

- الرثاء: قول الشاعر:

أَيَا مَنَازِلَ سَلَمَى أَيْنَ سَلَمَاكَ      مِنْ أَجْلِ هَذَا بَكَيْنَاهَا بَكَيْنَاكَ

-التضجر: قول الشاعر:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

-اليأس وانقطاع الرجاء: قال تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنعام: ٢٧)

**خامسا: التمني:**

التمني طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلا، وإما لكونه ممكنا غير مطموح في نيله.

- إما لكونه مستحيلا، كقوله:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبَ

- وإما لكونه ممكنا غير مطموح في نيله، كقول المعسر: "ليت لي ألف دينار".

ويكون التمني ب (ليت)، وقد يتمنى بهل ولو، ولعل، وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجيا، ويعبر فيه بلعل أو عسى، وقد تستعمل فيه أداة التمني (ليت).

قال تعالى: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ\*بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (يس: ٢٦-٢٧)

وقال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ) (الزخرف: ٣٨)

ففي الأولى أراد من التمني أن عرف قومه منزلته من الجنة فيسيرون على طريقه من اتباع المرسلين وعبادة الله الذي خلقهم وهو الضار والنافع لا غيره، وهنا نجد استحالة حدوث معرفتهم بغفران الله لأنه في مكان لا يستطيعون الوصول إليه ورؤية مقامه فيه.

وفي الثانية كان من الممكن حدوث ذلك في الدنيا بأن يترك هذا المتمني شيطانه ولا يتبعه، ولكنه عرض على الله فأصبح هذا الأمر بعيد المنال.

أما إذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجياً ويعبر فيه بـ (لعل) أو (عسى)؛ كقوله تعالى: (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) (الطلاق: ١)، وقال تعالى: (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ) (المائد: ٥٢)

وقول الشاعر:

عسى الليالي التي أضنت بفرقتنا      جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه

وقد تستعمل ليت في الترجي، يقول المتنبي:

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي      من البعد ما بيني وبين المصائب

فهو لبعد أحبته عنه يرجو أن يكون بينه وبينهم كمثل ما بينه وبين المصائب، وذلك لقرب المصائب الشديد منه.

وقد يحدث التمني بهل ولعل لإظهار المتمني المستحيل في صورة الممكن

التمني ب هل : قال تعالى : (هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) (الشورى: ٤٤)

فهم - أهل النار- يعرفون أنه لا مرد لهم.

وقال ذو الرمة:

أمنزلتني مي سلام عليكما      هل الأزمن اللائي مزين رواجع

التمني ب لعل:

قال تعالى: (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ

نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) (طه: ٩-١٠)

فاحترز موسى عليه السلام عن الكذب فلم يقل آتيكم ولكن قال لعل آتيكم ولم

يقطع فيقول إني آتيكم لئلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به.

وقال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (المؤمنون ٩٩-١٠٠)

ونحو قول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلي إلى من قد هويت أظير

وتستعمل (لو) للتمنى إذا كان الأمر مستحيلا حدوثه:

قال تعالى: (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (الشعراء: ١٠٢)، ويتمنى بها إشعارا بامتناع التمني وأبرازه في صورة ما لا يوجد، والدليل على أنها للتمنى نصب جوابها.

وقال مسلم بن الوليد صريع الغواني:

واهاً لأيام الصبا وزمانه لو كان أسعف بالمقام قليلاً

سل عيش دهرٍ قد مضت أيامه هل يستطيع إلى الرجوع سبيلاً

يتمنى الشاعر لو أسعفه الصبا فأقام معه قليلاً، وذلك بعد أن أنقضت أيام صباه وهذا أمر يمتنع حدوثه.

## الإطّنباب والإّيجاز

كانت العرب توجز تارة وتطنب تارة. ولكل من النوعين مكان حسب الموقف، ورب كلام يكون الإطناب فيه أبلغ من الإيجاز، وتصير البساطة له كالعلم والطرز، وسئل أبو عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم، ليسمع منها. وسئل: هل كانت توجز؟ قال: نعم، ليحفظ عنها.

وروي أن جعفر بن يحيى البرمكي "أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول" قال: "متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيًّا، ومتى كانت الكفاية بالإكثار كان الإيجاز تقصيرا".

وقال أحد الشعراء يثني على خطباء "إياد":

**يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خشية الرقباء**

أي: يخطبون تارة خطبا طوالا، إذا كانت حال المخاطبين تقتضي الإطالة، ويوجزون خطبهم تارة أخرى إيجازا يشبه وحي الملاحظ. ومن المعروف أن الناس قد يتفاهمون عن طريق اللحن، وإشاراته خشية من يراقبهم.

### **أولا: الإطناب:**

الإطناب مصدر أطنب في كلامه إطنابا، إذا بالغ فيه وطول ذيوله لإفادة المعاني، واشتقاقه من قولهم: أطنب بالمكان إذا طال مقامه فيه، وفرس مطنب إذا طال منته، ومن أجل ذلك سمي حبل الخيمة طنبا لطوله، وهو نقيض الإيجاز في الكلام.

والإطناب اصطلاحا: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن المتعارف؛ لفائدة تقويته وتوكيده.

ويكون الإطناب غير مفيد؛ فيكون إما تطويلا أو حشوا:

أما التطويل: إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة؛ وكقول عنتره:  
**حييت من ظل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم**

فقوله (أقوى وأقفر) لفظان دالان على معنى واحد.

وكقول الحطيئة:

**ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد**

فجمع بين النأي والبعد لضرب من التأكيد، والنأي والبعد واحد.

وأما الحشو: هو أن يكون الزائد غير المفيد في الكلام متعينا بلفظه، كلمة فأكثر.

نحو قول أبي العيال الهذلي:

**ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب**

فجاء ذكر الرأس حشوا غير مفسد، لأن الصداع لا يكون إلا في الرأس، ولكن عد

هذا حشوا وفضلا زائدا.

ومثله قول زهير:

**وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي**

التكرير المحمود:

ما ورد في السنة الشريفة كقوله صلى الله عليه وسلم في وصف يوسف الصديق

عليه السلام (الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم) يوسف بن يعقوب بن

إسحاق بن إبراهيم، يعنى أنه نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى، فقد تنوسخ من

الأصلاّب الشريفة إلى الأرحام الطاهرة، فهذا تكرير بالغ دال على نهاية الشرف،

وإعظام المنزلة، ورفع الرتبة عند الله.

التكرير المعيب:



ما قاله أبو نواس:

**أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً ويوماً للترحل خامس**

والمراد من هذا أنه أقام بها أربعة أيام، وهذا تكرير ليس وراءه كبير فائدة ولا اختص بحلاوة.

وقول المتنبى:

**عَظُمَتْ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعَتْ وَهَوَّ الْعُظْمُ عُظْمًا عَنِ الْعُظْمِ**

فهذا وما شاكله ليس من التكرير الحسن.

من دواعي الإطناب:

(١) **ذكر الخاص بعد العام:** نحو قوله تعالى (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) (البقرة: ٢٣٨)؛ وفائدته التنبيه على مزية: وفضل في الخاص.

(٢) **ذكر العام بعد الخاص:** نحو قوله تعالى: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) (نوح: ٢٨)

جعل الدعاء لنفسه ووالديه خاتمة مناجاته فابتدأ بنفسه ثم بأقرب الناس به وهما والده، ثم عمم أهله وذويه المؤمنين فدخل أولاده وبنوهم والمؤمنات من أزواجهم وعبر عنهم بمن دخل بيته كناية عن سكناهم معه، ثم عاد بالدعاء على الكفرة بأن يحرمهم الله النجاح وهو على حد قوله في موضع من السور: (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَالًّا) (نوح: ٢٤)، فجاء الاهتمام بالخاص بذكره مرتين؛ مرة منفرداً، أخرى مع العام.

(٣) **التفصيل بعد الإجمال،** لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة إجمالاً، ومرة تفصيلاً؛ كقوله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ) (الحجر: ٦٦)؛ فقوله (أن دابر هؤلاء) توضيح لقوله: (الأمر) المبهم

وفائدة التوضيح تهويل أمر العذاب.

(٤) **التوشيح**: وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك"، وفائدته توضيح الغامض.

(٥) **التكرير**: وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر - لأغراض الأول - التأكيد وتقرير المعنى في النفس كقوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥ ، ٦) وجيء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة في التسلية ولتقوية القلوب، وعليه قوله صلى الله عليه وسلم: "لن يغلب عسر يسرين"؛ لأن العسر أعيد معرفاً؛ فكان واحداً؛ لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى، واليسر أعيد نكرة والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى؛ فصار المعنى إن مع العسر يسرين.

وتمكين المعنى من النفس، نحو قول عنتر:

يدعون عنتر والرماح كأنها      أشطان بئر في لبان الأدهم

يدعون عنتر والسيوف كأنها      لمع البوراق في سحب مظلم

الثاني: التحسر: نحو قول الحسين بن مطير الأسدي:

فيا قَبْرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ      من الأرضِ حُطَّتْ لِلِسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا

ويا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ      وقد كان منه البُرِّ والبَحْرُ مُتْرَعًا

الثاني: طول الفصل: نحو قول سحبان بن زفر، وكانت العرب تقول أبلغ من

سحبان:

لقد علم الحي اليمانون أنني      إذا قلت أما بعد أي خطيبها

فأعاد (أني) لطول الفصل، ولجذب انتباه السامع بالتكرير.

الثالث - التلذذ بذكر من يحب، نحو قول مروان بن أبي حفصة

سقى الله نجداً والسلام على نجد      ويا حبذا نجد على القرب والبعد

الرابع : التلذذ بالحديث مع الله : في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام:

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (طه: ١٧، ١٨)

(٦) الاعتراض: وهو أن يؤتى في اثناء الكلام، أو بين كلامين متصّلين في المعنى،

بجملة معترضة: أو أكثر، لا محل لها من الاعراب؛ لأغراض منها:

الرد على المخاطب: نحو قول النابغة الجعدي:

أَلَا زَعَمْتَ بَنُو كَعْبٍ بِأَنِّي      -أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السِّنِّ فَانِي

وقول الشاعر:

لو أن الباخلين وأنت منهم      رأوك تعلموا منك المطالا

والتنزيه كما في قوله تعالى (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا

يَشْتَهُونَ) (النحل: ٥٧)

وفي قوله : "سبحانه" اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، أي: وجعلوا

لأنفسهم ما يشتهون من الذكور، فأفاد تنزيه نفسه عما نسبه إليه مشركو العرب، في

قولهم الملائكة بنات الله.

وزيادة التأكيد : كقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ

وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ) (لقمان: ١٤)؛ فقوله: "حملته

أمه وهنا على وهن وفضاله في عامين" اعتراض بين المفسر والمفسر لأنه لما وصى

بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق في حمله وفضاله هذه المدة الطويلة

تذكيراً بحقها العظيم مفرداً.

والتهويل : نحو (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (الواقعة: ٧٦)؛ فقله : "لو تعلمون" لتعظيم قيمة ذلك القسم.

(٧) الإيغال: وهو ختم الكلام بما يُفيد نُكْتة، يتم المعنى بدونها؛ كالمبالغة: في قوله تعالى (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (النور: ٣٨).

فقله: "يرزق من يشاء" كاف، لكن أعقبه تعالى بقوله: "بغير حساب".  
ونحو قول الخنساء:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به      كأنه علمٌ في رأسه نازٌ

(٨) التذييل: وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها.

نحو: قوله تعالى (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ) (سبأ: ١٧)

(٩) الاحتراس أو (التكميل): وهو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود، بما يدفع ذلك الإيهام.

كقول طرفة بن العبد:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا      صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

فقله: غير مفسدها: للاحتراس.

وكقول أعرابية لرجل (أَذَلَّ اللَّهُ كُلَّ عَدُوِّكَ إِلَّا نَفْسَكَ) .

(١٠) التَّتْمِيم: وهو زيادةُ فضلة، كمفعول أو حال أو تمييز أو جار ومجرور، توجد في المعنى حُسناً بحيث لو حذف صار الكلام مبتذلاً كقول ابن المعتز يصف فرساً:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا      فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

ومن فوائده أنه يثبت المعاني في الذهن ويكسبها رونقاً وجمالاً.

واستحسن الأدباء "الإطناب" وبسط الكلام في الإصلاح بين المتخاصمين، وفي الحاجة إلى الإقناع في الأمور الفكرية العميقة، والوعظ والإرشاد والتعليم، وفي الخطب الحماسية والحربية، وكتابة التاريخ وتدوين الحوادث.

## ثانياً: الإيجاز

الإيجاز لغة: اختصار الكلام وتقليل ألفاظه مع بلاغته، يقال لغة: أوجز الكلام إذا جعله قصيراً ينتهي من نطقه بسرعة.

ويقال: كلام وجيز، أي: خفيف قصير. ويقال: أوجز في صلاته إذا خففها ولم يطل فيها.

فالمادة تدور حول التخفيف والتقصير، وفي الحديث أن رجلاً قال للرسول صلى الله عليه وسلم: عطني وأوجز، أي: قل لي كلاماً خفيفاً قصيراً أحفظه عنك فيه موعظة لي.

والإيجاز هو صياغة كلام قصير يدل على معنى كثير واف بالمقصود، فإذا لم يكن الكلام وافياً بالدلالة على المقصود كان إخلالاً؛ كقول الحارث بن حلزة اليشكري:

**والعيش خير في ظلال النو ك ممن عاش كدا**

أي: العيش الناعم السعيد في ظلال الحمق خير من العيش الشقي في ظلال العقل.

وقول عروة بن الورد بن زيد العبسي:

**عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا**

قالوا: أراد إذ يقتلون نفوسهم في السلم من غير حرب، فحذف عبارة: "في السلم"

وهذا من الإخلال بالمعنى، مما يوقع السامع في صعوبة فهم المعنى.

ومن الإيجاز الرشيق قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلْبِ الرِّزْقِ: (إِنَّ الرِّزْقَ لِيَطْلُبُ الرَّجُلُ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ).

واستحسن الأدباء "الإيجاز" في كتابات الملوك والأمراء، وفي الوعد والوعيد، والشكر على النعم التي تهدي، والاستعطاف والشكوى والاعتذار، والعتاب، ومخاطبة الأذكياء، وفي مواطن الخوف فيكون الرمز لإخفاء المقاصد عن الرقباء. والإيجاز نوعان: إيجاز قصر، إيجاز حذف.

### أولاً: إيجاز القصر:

ويكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف؛ فهو تكثير المعنى، وتقليل اللفظ.

كقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: 179) "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ"، فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتِلَ قُتِلَ كان ذلك داعياً له قوياً إلى ألا يقدم على القتال، فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم، وفضله على ما كان عندهم أو جز كلام في هذا المعنى وهو قولهم: القتل أنفى للقتل من وجوه:

- وحروف الآية: "في القصاص حياة" أقل من عبارة العرب: "القتل أنفى للقتل".

- ذكرت الآية "القصاص" فعمت كل ما تقابل به الجناية على الأنفس فما دون الأنفس من عقوبة مماثلة، وحددت الأمر بأن يكون عقوبة لعمل سبق، ودلت على مبدأ العدل، أما عبارة العرب فقد ذكرت القتل فقط، ولم تقيد بأن يكون عقوبة، ولم

تشر إلى مبدأ العدل، فهي قاصرة وناقصة.

- نصت الآية على ثبوت الحياة بتقرير حكم القصاص، أما عبارة العرب فذكرت نفي القتل، وهو لا يدل على المعنى الذي يدل عليه لفظ "حياة".

- خلت الآية من عيب التكرار، بخلاف قول العرب.

- الآية صريحة في دلالتها على معانيها، مستغنية بكلماتها عن تقدير محذوف، بخلاف عبارة "العرب" فهي تحتاج إلى عدة تقديرات حتى يستقيم معناها، إذ لا بد فيها من ثلاثة تقديرات، وهي كما يلي: "القتل" قصاصا "أنفى من تركه" للقتل " عمدا وعدوانا.

- في الآية سلاسة، لاشتغالها على حروف متلائمة سهلة التتابع في النطق. أما عبارة "العرب" ففيها تكرير حرف القاف المتحرك بين ساكنين، وفي هذا ثقل على الناطق.

- في الآية من فنون البديع: "الطباق" بين لفظتي: القصاص والحياة؛ مما يبرز المعنى ويزيده إيضاحا.

ومن إيجاز القصر أيضا، قول الله تعالى:

(حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (النمل: ١٨).

قال العلماء: إن التعبير عن قول النملة قد جمع أحد عشر نوعا من البلاغة:

أولها: النداء بيا، وثانيها: كُنْتُ بآي، وثالثها: نَبَّهْتُ بِهَا التَّنْبِيْهِ، ورابعها: سَمَّتْ بِقَوْلِهَا النَّمْلَ، وخامسها: أَمَرْتُ بِقَوْلِهَا ادْخُلُوا، وسادسها: نَصَّتْ بِقَوْلِهَا مَسَاكِنَهُمْ، وسابعها: حَذَرْتُ بِقَوْلِهَا لَا يَحْطِمَنَّكُمْ، وثامنها: خَصَّصْتُ بِقَوْلِهَا سُلَيْمَانَ، وتاسعها: عَمَّمْتُ

بقولها وجنوده، وعاشرها: أشارت بقولها وهم، وحادي عشرها: عذرت بقولها لا يشعرون.

قوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (الأعراف: ٥٤)؛ فكلمتا (الخلق والأمر) استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء، وروي أن ابن عمر قرأها، فقال: من بقي له شيء فليطلبه.

وقوله تعالى: (وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ) (البقرة: ١٦٤)؛ فجمع أنواع التجارات، وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد والإحصاء.

ومنه أيضا قوله تعالى فيما يخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف: ١٩٩)، فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق.

وقال تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (المؤمنون: ٩١)؛ أي: دلت على الوحدانية، ونفى الشرك.

ولإيجاز فوائد جملة منها: حسن التخير ودقة التفكير وتقريب الفهم وتسهيل الحفظ.

إيجاز الحذف:

الحذف وسيلة من الوسائل الفنية في التعبير الأدبي، يلجأ إليه الأديب بوحى من ذوقه الرهيف وحسه اللغوي للإيحاء بما لديه من معان وأغراض لا تتحقق إلا بهذا



الأسلوب، كما أن فيه تنشيطاً لخيال المتلقي ودعوة غير مباشرة له للحدس بهذا المحذوف، واكتشاف ما وراء حذفه من أسرار، وتلك إحدى غايات الفن؛ فالأدب الجيد ليس بثا مباشراً أو إفشاءً صريحاً بالمعنى الكامل فيه، ولكنه لون من التظليل والغموض الشفيف الذي يثير ذهن المتلقي ويحرك خياله<sup>(١)</sup>، ومعرفة الحذف والذكر يأتي من اشتغال التركيب على عدد من التراكيب المتفق عليها، وفي حال تغير التركيب يفقد أحد عناصره المتفق عليها في اللغة يعد ذلك حذفاً، والحذف لا ينسب إلى مضمون القرآن الكريم وإنما ينسب إلى تركيب اللغة.

#### • صور من إيجاز الحذف في القرآن الكريم :

تتباين أشكال الحذف في سياق التعبير عن السماء والأرض، مما يثري هذه المواضع بعدد من الاختصارات التي تسهم في الوصول إلى المعنى المراد دون حيد عن بلوغه بأقصر الطرق، وأول أشكال الحذف في مواضع التعبير عن السماء والأرض ما أسماه السيوطي في كتابه "معترك الأقران" بالاقطاع، وهو حذف بعض أحرف الكلمة لغير علة صرفية أو نحوية ... وأكثر ما يكون ذلك في أسماء المصادر؛ مثل قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا) (نوح: ١٧)، والأصل: إنباتاً، ولعل السر في العدول عن الأصل أمران: الأول: لفظي، وهو التخلص من كسرين يؤديان إلى نوع ما من الثقل إذا قارنا بين الصورتين: الأصلية، والتي عليها التعبير؛ لأن "الضاد" من أرض مكسورة كما أن "الهمزة" من المصدر - وهي أول حرف فيه - مكسورة، والثاني: معنوي؛ لأن المصدر (إنباتاً)، يدل على مجرد الحدوث. أما اسمه (نباتاً)؛ فيدل على صورة النبات بعد خلقه وترعرعه، فضلاً عن دلالاته على

(١) انظر / علم المعاني تأصيل وتقييم، ص ٩٢.

الحدّث، ولا شك أن ما دل على معنيين أولى مما دل على معنى واحد، والمقام هنا يقتضي ذلك؛ لأنه بيان لقدرة الله سبحانه<sup>(٢)</sup>. وأنواع الحذف كثيرة، منها الآتي:

### ● حذف المبتدأ:

وهو يرد كثيرا في مواضع ذكر السماء والأرض؛ فيُتَّجه إلى تقديره؛ "لأننا نفكر بجمل، ولا يمكن للعنصر الواحد أن يكون مفيدا بمفرده، فلا بد من تقدير اعتماده وإسناده إلى عنصر آخر منوي ذهنا حتى تتكون منهما جملة، وهذه الجملة المقدره المرتبطة بالمعنى هي ما يسميها التحويليون بالبنية العميقة، أو بالتركيب الباطن، أما ما ينطق لفظا أو يكتب خطأ فهو البنية السطحية بعد أن حذف منها من العناصر ما دلت عليه القرائن"<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (البقرة: ١١٧)؛ فحذف المبتدأ هنا، وكان قد ذكر في الآية السابقة في قوله: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ) (البقرة: ١١٦)؛ إذ المراد به الله تعالى "وهو من باب إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، والأصل: بديع سمواته"<sup>(٤)</sup>.

وفي تقدير المحذوف أشكال تتباين بين الرفع والجر والنصب إلا أن المشهور "رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو بديع، وقرىء بالجر على أنه بدل من الضمير في (لَهُ)، وقرىء بالنصب على المدح"<sup>(٥)</sup>، ورغم التأكيد على أن الرفع هو الأنسب هنا فإن هذه المعاني الثلاث "احتملها المقام بسبب الحذف، ولو ذكر المبتدأ لاقتصر

(٢) انظر/ خصائص التعبير القرآني ٧١/٢، و/ معترك الأقران ٢٥٧/١.

(٣) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر حمودة، ص ١٧٨.

(٤) الكشف ١/ ١٨١، و/ إعراب القرآن وبيانه ١٧٤/١.

(٥) اللباب ٢/ ٤٢٢.

المعنى عليه دونما سواه"<sup>(٦)</sup>؛ ففي عدم ذكره أيضا تكثير الفائدة، واختصاص السماوات والأرض بالذكر؛ لأنهما أكبر مخلوقاته وأعظمها.

ويظهر من الحذف هنا أنه جاء على طريقة أتباع الاستعمال التي قال بها السكاكي؛ بمعنى استعمال العرب عند ما يجري ذكر موصوف بصفات أن ينتقلوا من ذلك إلى الإخبار عنه بما هو أعظم مما تقدم ذكره؛ ليكسب ذلك الانتقال تقريرا للغرض<sup>(٧)</sup>؛ فإنهم عندما يخبرون عن شيء كان قد جرى عنه حديثا من قبل؛ فإنهم يحذفون ضميره المسند ليشيروا إلى أنه من المكانة والفهم والظهور بما لا يخفى، فيتركون ذكره لغرض بلاغي وللتوسع وعدم التكرار بما لا يفيد، ومثله قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (مريم: ٦٥).

ويرى د. أحمد بدوي أن سر الحذف فيه "خشية أن يبعث في النفس السامة والملل؛ لشدة وضوحه"<sup>(٨)</sup>، أو أن تكون إعادته تكراراً لم تدع إليه حاجة. وفي قوله تعالى: (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (الشعراء: ٢٤- ٢٨)، وقد حذف المبتدأ هنا ثلاث مرات قبل ذكر الرب؛ أي: هو رب السموات... الله ربكم... الله رب المشرق؛ "صيانته عن ذكره وتشريفاً له؛ لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً"<sup>(٩)</sup>. وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) (الزخرف: ٨٤).

(٦) خصائص التعبير القرآني ٣٧/٢.

(٧) انظر/ مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٢٠٦، ٢٠٧، و/ التحرير والتنوير ١٣/ ١٨٢.

(٨) من بلاغة القرآن ص ٩٦، و انظر/ خصائص التعبير القرآني ٣٦/٢.

(٩) الإتيان في علوم القرآن ٣/ ١٩١، ١٩٢.

أشارت الآية إلى وجوده سبحانه في كل موضع من مواضع ملكه؛ فهو موجود في السماء وفي الأرض، وهو المعبود فيهما معا دون سواه؛ " لأن الغرض الكلى إثبات إلهيته لا كونه في السموات والأرض"<sup>(١٠)</sup>؛ فهو سبحانه الواحد المتفرد في السماء وفي الأرض. وقد جاء حذف المبتدأ هنا لتعلق قوله: (في السماء) بـ (إله)؛ لأنه بمعنى معبود؛ أي: معبود في السماء ومعبود في الأرض. يقول السمين الحلبي: " إن المبتدأ حذف لدلالة المعنى عليه، وذلك المحذوف هو العائد تقديره: وهو الذي في السماء إله، وهو في الأرض إله، وإنما حذف لطول الصلة بالمعمول فإن الجار متعلق بـ (إله)"<sup>(١١)</sup>؛ فالمراد إفراده بالعبودية وتوحيده في الذكر، وكان من الممكن ذكر المبتدأ المحذوف ليتضح المعنى تماما، ولكن الحذف هنا أبلغ؛ لأن جميع الناس - مؤمنهم وكافرهم - يشهد أن لهذا الكون ربا واحدا هو الله، ومن هذا المنطلق كان إبراز المبتدأ لن يضيف إلا طول الكلام فحذف لأجل ذلك.

أما تكرار كلمة (إله)؛ فالسر فيه أنه لو قال: (وهو الذي في السماء والأرض إله)؛ لاحتمل المعنى أنه الإله المشترك فيهما، ولكن قد يكون هناك آلهة أخرى غير مشتركة في السماء وفي الأرض، ولو قال: (وهو الذي في السماء وفي الأرض إله) لا ينص على أنه إله في السماء بل في الأرض فحسب، أما التكرار فقد نص على أنه إله في السماء وفي الأرض لا إله غيره<sup>(١٢)</sup>.

وقوله تعالى: (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) (الطور: ٤٤)، يقول الرازي: وفي إسقاط كلمة الإشارة حيث لم يقل: يقولوا هذا، إشارة إلى وضوح الأمر وظهور العناد، فلا يستحسنون أن يأتوا بما لا يبقى معه مرء"<sup>(١٣)</sup>، فيكون

(١٠) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢/ ٢٢٩.

(١١) الدر المصون ٩/ ٦٠٩.

(١٢) انظر/ أسئلة بيانية للسامرائي، ص ١٧٦-١٧٧.

(١٣) التفسير الكبير ٢٨/ ٢٢٤.

قولهم هذا بحذف المبتدأ مقصوده العناد والمكابرة حتى في الأمر الواضح، وبذلك يظهر إصرارهم على المعاندة، فلا يريدون التفكير حتى فيما يقول زيادة في الكبر منهم.

### ● حذف الخبر:

يأتي حذف الخبر في مواضع التعبير عن السماء والأرض؛ ليفيد أغراضاً عدة، وليثير ذهن السامع في البحث عن المحذوف من الآيات، ومنه قوله تعالى: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا) (النازعات: ٢٧)؛ فالسورة من السور المكية، وهي من السور التي يغلب عليها الإيجاز بالوصول إلى المعنى المراد بأقل الألفاظ ومراعاة الفاصلة، وقد حذف هنا الخبر بعد قوله تعالى: (أم السماء)، وتقدير الخبر "أم السماء أشد" (١٤)؛ فالسر في حذف الخبر هنا الاحتراز عن العبث؛ فلو ذكر المحذوف لصار ذكره لا فائدة منه، وذلك لعدم حاجة الكلام إليه؛ فالخبر واضح من سياق المفاضلة، كما دعا إلى حذفه أيضاً موافقة الفاصلة.

ومثله قوله تعالى: (أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) (النمل: ٦٠)، وقوله تعالى: (أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا) (النمل: ٦١)؛ فحذف الخبر هنا إذ لا داعي لذكره؛ لأن الخبر عكس المبتدأ في الصفة، وفيها يبين المولى عز وجل في أسلوب المحاجة الإشارة إلى خلقه تعالى للسموات والأرض، وجعله الأرض قراراً؛ فأفاد حذف الخبر أحقيته تعالى بالعبادة، وفي الآيات معنى "التوبيخ والتهكم والتفريع" (١٥).

(١٤) التبيان في إعراب القرآن، العكبري ٢ / ٢٨٠.

(١٥) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠ / ٦٠.

## ● حذف المفعول:

والأبرز في سياق التعبير عن السماء والأرض مع حذف المفعول، حذفه في سياق المشيئة؛ حيث حذف ست مرات، منها: قوله عز وجل: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (يونس: ٩٩). الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يخبره عن استطاعته أن يجعل الناس جميعاً مؤمنين به، ولكنه لحكمة يراها تركهم كل حسب اختياره، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ويقول السيوطي عن حذف المفعول أنه يأتي بعد فعل المشيئة؛ "لقصد البيان بعد الإبهام"<sup>(١٦)</sup>؛ فإبهام المفعول أولى في هذا الموضع من ذكره؛ ليحدث بحذفه تشويق إليه، وتقديره: ولو شاء ربك هداية الناس لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أضف إلى ذلك أن الذكر سيجعل منه تكريراً حيث يستطيع السامع فهمه من بقية الآية.

وفي الآية حث وتحريض على الإيمان؛ فترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء، وإيلاؤها حرف الاستفهام الإنكاري، وتقديم الضمير على الفعل "للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل، فلا يمكنه تحصيله بالإكراه، فضلاً عن الحث والتحريض عليه، إذ روى أنه - عليه الصلاة والسلام - كان حريصاً على إيمان قومه، شديد الاهتمام به"<sup>(١٧)</sup>، وخص الأرض بالذكر لأنها موطنهم، وفيها مؤمنهم وكافرهم أما السماء ففيها المؤمنون من الملائكة وهم لا يعصون الله ما أمرهم، وعلى هذا فإن ذكر فعل المشيئة يجعل النفس تتشوق إلى المتعلق بالمشيئة حتى يأتي الجواب<sup>(١٨)</sup>.

(١٦) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ١٩٢، و/ الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ١٥٤، وانظر/ البلاغة العربية للميداني ١/ ٣٤٥.

(١٧) تفسير البيضاوي ٣/ ٢١٦، و/ البحر المديد ٢/ ٥٠٠.

(١٨) انظر/ الحذف البلاغي، ص ٥٧.

وقال تعالى: (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ) (البقرة: ٦١)، جاءت الآية ضمن حوار بين موسى -عليه السلام- وقومه؛ حيث طلبوا منه أن يدعو الله تعالى أن يخرج لهم أصنافاً من النبات بعد أن استجاب لهم بإنزال المائدة من السماء، فاستبدلوا ذلك بشيء من الأرض، فحذف المفعول وتقديره: أي مأكولاً مما تنبت، هذا على مذهب سيبويه<sup>(١٩)</sup>، وقيل: "تقديره: شيئاً مما تنبت الأرض"<sup>(٢٠)</sup>، فإبهام المفعول هنا لطلب التعميم فيه، والامتناع عن أن يقصره السامع على شيء دون شيء مع الاختصار.

وقال تعالى: (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) (البقرة: ١٦٤)، ذكر الدليل على تفرده بالإلهية بتفرده بخلق السموات والأرض وما فيهما، وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته، والآية من الأدلة الواضحة على وحدانيته تعالى وأحقيته بالعبادة والإلهية دون غيره؛ لأنه خالق هذا الكون وبارئه، فكل ما ذكر في هذه الآية يدل على أنه المتفرد بالخلق، والمفعول محذوف تقديره: وبث فيها دواب، من كل دابة. وقوله: (من) تتدرج من الصغير إلى الكبير فتدلُّ على الشمول<sup>(٢١)</sup>، والأصل فيها أن يقال: بث فيها دواباً، ولكن لإرادة الشمول عدل عن ذلك إلى تركيب الجار والمجرور ففائدته أشمل وأعم. ومثله قوله تعالى: (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) (لقمان: ١٠)، وقوله تعالى: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (العنكبوت: ٢٢)، واستعمال المصدر أقوى في الدلالة على الموقف من الفعل، فقال: (وما أنتم بمعجزين)، ولم يقل لا تعجزون

(١٩) إعراب القرآن، لابن سيدة، ص ١٧٥.

(٢٠) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٦٨.

(٢١) انظر/ تفسير الشعراوي ١٩/ ١١٦٠٣.

بصيغة الفعل، وذلك لأن نفي الفعل لا يدل على نفي الصلاحية<sup>(٢٢)</sup>؛ فنفي الفعل لا ينفى إعجازهم له، أما المصدر فإنه يقطع الأمر، ويوضح ضعفهم التام عن إيقاعهم أدنى درجاته، والمفعول واضح، والمراد به الله تعالى، وسر الحذف هنا العلم به.

### ● حذف الفعل:

تجعل الدلالة الواضحة على الفعل المحذوف في حكم الملفوظ؛ فقد "يحذف الفعل من السياق القرآني ويراد إثباته، حيث تدل الدلالة عليه، فإن دلت عليه دلالة كان في حكم الملفوظ به"<sup>(٢٣)</sup>. قال تعالى: (وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (العنكبوت: ٦١)، قال ابن هشام عند تقدير المحذوف في هذه الآية: فلا يُقدر (ليقولن الله خلقهم . بل خلقهم الله، لمجيء هذا في شبه هذا الموضع وهو: (وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (الزخرف: ٩)<sup>(٢٤)</sup>، والسبب في ذلك أن تقدير المحذوف لا يكون إلا بقرينة تقدمت؛ حتى يوافق المحذوف المذكور، وتقدير المحذوف فعلا أولى من تقديره خبرا؛ ليوافق الجواب السؤال كما قال صاحب البرهان: "والتقدير: خلقهن الله فحذف خلقهن لقرينة تقدمت في السؤال"<sup>(٢٥)</sup>. وسر الحذف أيضا يكمن في "توفير العناية باسم الجلالة الذي هو المقصود الأهم، ولتكثر الفائدة لاختلاف التقدير"<sup>(٢٦)</sup>، وعده محمد عبد المطلب من قبيل "حذف الفعل احترازا عن العبث"<sup>(٢٧)</sup>.

ولكن القول بأنه من الاحتراز من العبث، قول عام قد يصدق على هذا الموضع أيضا، ولكن القول بتوفير العناية باسم الجلالة وتحديده وإفراده بالاهتمام هو الأولى

(٢٢) التفسير الكبير ٤٣/٢٥.

(٢٣) الإيجاز في كلام العرب ونص كلام الإعجاز، ص ٢٧٨.

(٢٤) انظر/ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص ٨٢٧.

(٢٥) البرهان في علو القرآن ١٣٤/٣.

(٢٦) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢٨/٢، ٢٩).

(٢٧) انظر/ البلاغة والأسلوبية ص ٣٢٥.



من عدة نواح منها: موافقة الكلام للحذف، وليكون لفظ الجلالة متقدرا في الذكر، فيحدث بذلك جذب لانتباه السامع لما يقوله الكفار أنفسهم؛ حيث ينطقون بما يشركون، فيكون الكلام حجة عليهم لتناقض أقوالهم وأفعالهم.

ومثله قوله تعالى: (وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (العنكبوت: ٦٣)؛ حيث حذف الفعل، تقدير الكلام: أنزلهن الله، وفيه العناية باسمه تعالى أيضا.

وقد يحذف الفعل بعد أداة العطف، نحو قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الطلاق: ١٢)، هذه الآية من الآيات الدالة على وجود الله ووحدانيته وقدرته في خلق هذا العدد الكبير من السماوات والأرض، وقوله: (مثلهن) معطوف على (سبع سموات)، أو منصوب بفعل مقدر بعد الواو؛ أي: وخلق مثلهن من الأرض<sup>(٢٨)</sup>، والمثلية تعني الاتفاق في بعض الأوصاف، وحذف الفعل في هذا الموضع اكتفاء؛ لأن هناك تلازم وارتباط بين خلق الأرض وخلق السماء؛ لأن الأرض هي المقابل للسماء من آياته وخلقه.

وقال تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) (الانفطار: ١)، فما بعد (إِذَا) "مرفوع بفعل مضمر؛ لأن إذا فيها معنى المجازاة؛ فهي بالفعل أولى، فالفعل مضمر بعدها، وهو الرفع للاسم"<sup>(٢٩)</sup>، وافتتاح هذه الجملة بمسند فعلي دون الإتيان بالجملة الفعلية أو تقدير

(٢٨) انظر/ روح المعاني ١٤ / ٣٣٧، روح البيان ١٠ / ٤٣، إعراب القرآن وبيانه ١٠ / ١٢٨.

(٢٩) مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي ١ / ١٠٧.

الأفعال المحذوفة "لقصد الاهتمام بالمسند إليه وتقوية الخبر" (٣٠)، ومثله قوله تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) (الانشقاق: ١).

- حذف الحرف: يحذف الحرف في مواضع التعبير عن السماء والأرض؛ ومن مواضع حذفه ما يأتي:
- حذف أداة النداء.

قال تعالى: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (يوسف: ١٠١)، في هذا الموضع حذف حرف النداء مرتين؛ مرة مع قوله: (رب)، والثانية مع قوله: (فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، ولأن المقام مقام دعاء ومناجاة؛ فقد حذف حرف النداء في الموضعين، والسر في حذفه، ربما لحب الله تعالى أن تكون دعوته دون أداة "تنزيها وتعظيما؛ لأن في النداء طرفا من الأمر" (٣١)، وحتى لا يكون هناك وقت - ولو يسير - بين لوصول الدعاء، كما أن حذف الأداة يجعل من مناداته تعالى ذكرا، هذا إلى جانب إرادة الاختصار.

ويشعر الحذف هنا بقرب الله من يوسف وإحساس يوسف - عليه السلام - بوجوده، ويرشد إلى علم الأنبياء جميعا بقربه تعالى منهم، أما إذا أراد الله تعالى تعليمنا الدعاء فيقول عن ذاته، قال تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (الزمر: ٤٦)؛ فالميم في آخر اللهم بدل من يا.

(٣٠) التحرير والتنوير ١٧٠/٣٠.  
(٣١) الإتيان في علوم القرآن ٢١٢/٣.

● حذف الجملة: تحذف الجملة في مواضع التعبير عن السماء والأرض؛ ومن مواضع حذفها ما يأتي:

● حذف أداة الشرط وفعله.

في قوله تعالى: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) (العنكبوت: ٥٦)، وتقدير الشرط وفعله: "فإن لم يتأت لكم إخلاص العبادة لي في هذه الأرض فإياي فاعبدوني في غيرها"<sup>(٣٢)</sup>، فأفاد بهذا الحذف الاختصاص بالعبادة في كثير من الأمور الظاهرة التي لا تخفى.

● حذف جملة جواب الشرط:

قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) (إبراهيم: ٨)، تظهر الآية قدرة الله تعالى على الاستغناء عن الخلائق جميعا، وفقرهم إليه، وفي الآية حذف لجواب (إن) ، وتقدير المحذوف: "إن تكفروا لم يرجع وباله إلا عليكم"<sup>(٣٣)</sup>، وجملة: (فإنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) تعليل للجواب المحذوف، وفيه إشارة إليه.

ومنه قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (الأنعام: ٣٥)، تدعو الآية النبي - الله عليه وسلم - إلى الصبر على أذى المشركين مهما كبر إعراضهم وكفرهم بالله تعالى، وجواب الشرط محذوف

(٣٢) البلاغة العربية للميداني ٣٣٦/١.

(٣٣) تفسير أبي السعود ٣٥/٥، و/ روح البيان ٤/٤٠١.

تقديره: فافعل، و حذف الجواب اختصاراً؛ "لظهور معناه وطول الكلام"<sup>(٣٤)</sup>، فلم تدع الحاجة إلى إظهاره؛ لأن سياق الآية فيه عتاب رقيق فاحتاج المقام إلى الحذف. وقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) (الرعد: ٣١). الآية في معرض المحاجة؛ حيث طلب المعاندون من رسول الله تعالى أن يأتيهم بآية غير القرآن تكون أعظم منه؛ فكان الرد بتلك الآية التي بينت قدر القرآن وعظمته وهيبته التي لا يقدر عليها أكبر آياته، وتقدير المحذوف عن جمهور العلماء؛ لكان هذا القرآن، "والحذف أبلغ من الذكر؛ لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب"<sup>(٣٥)</sup>، ويرى أبو هلال العسكري: "أن حذف الجواب جاء اختصاراً؛ لعلم المخاطب"<sup>(٣٦)</sup>. وعلى هذا المعنى فالغرض من الآية بيان عظم شأن القرآن الكريم، وإبطال شأن المعاندين الذين يريدون آية أخرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الرد بهذا الشكل، وحذف الجواب؛ لدلالة المقام عليه، وليقدره السامع أي تقدير يراه حسناً، كما أفاد حذفه تكثير المعاني الناتجة عن التأويل وتكثير الفائدة بحذفه، كما تتضمن الآية تعظيم القرآن، وهذا قول حسن يحرز فصاحة الآية<sup>(٣٧)</sup>.

قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) (التوبة: ١١٨). تتحدث الآية عن الثلاثة الذي تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله في غزوة تبوك، ويصور القرآن حالهم وما هم فيه من حزن وغم، وتقدير جواب الشرط في الآية: لجؤوا إليه ثم تاب، وقيل: تداركهم بالتوبة، فردهم إلى ما كانوا عليه قبل الواقعة الذنب، وقيل: رحمهم ثم تاب

(٣٤) التبيان للعكبري ١/ ٢٤٠.

(٣٥) إعجاز القرآن، ص ١٩١، و/ البرهان للزركشي ٤/ ١٨٤.

(٣٦) الصناعتين، ص ٥٧، و انظر/ تفسير البغوي ٤/ ٣١٩.

(٣٧) انظر/ المحرر الوجيز ٣/ ٣١٣، و/ تفسير البيضاوي ٣/ ٣٢٩، و/ النكت في القرآن الكريم، ص ٢١٣.

عليهم<sup>(٣٨)</sup>، والسر في حذفه دلالة صدر الكلام عليه، ولتكثير الفائدة كما هو واضح من هذه التقديرات.

ومن أشكال حذف جواب الشرط في مواضع التعبير عن السماء والأرض نموذجاً تكرر في كثير من الآيات، ومنه قوله تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) (الانشقاق: ١). هذه الآية وغيرها من الآيات التي تصور كل واحدة منها على حده هولا من أهوال يوم القيامة بشدته وهيئته، وحذف الجواب في هذه الآيات ظاهرة تسهم بدورها في تصوير فزع الموقف؛؛ ففي حذفه تنبيهاً على عظم الهول الواقع في هذا اليوم، ولتذهب فيه النفس كل مذهب، وهو كثير في القرآن وقد عبر عن كل حدث بما يلائم وقته ووقعه، ومثله قوله تعالى: (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) (المرسلات: ٩)، وقال تعالى: (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) (التكوير: ١١)، وقال تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) (الإنفطار: ١)، وقال تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) (الإنشقاق: ١)، وقال تعالى: (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا) (الواقعة: ٤)، وقال تعالى: (وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ) (الإنشقاق: ٣)، وقال تعالى: (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) (الفجر: ٢١)، وقال تعالى: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) (الزلزلة: ١).

ففي المواضع السابقة حذف الجواب، مع دلالة المقام عليه، وتقديره على حسب السياق، ولكن الهول في كل هذه المواضع واضح، فلاشترائها في تصوير الهول اشتركت في حذف الجواب.

● حذف جملة جواب القسم:

(٣٨) انظر/ البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٩٠، و/ نظم الدرر ٩/ ٤٠، و/ المجتبى من مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٨.

اختلف في حذف الجواب وذكره في بعض المواضع التي وردت في سياق التعبير عن السماء والأرض ، ولكن ترجيح الحذف هو الأولى عند كثير من المفسرين، وهذا " يقع في مواقع التخييم والتعظيم، ويجوز حذفه؛ لعلم المخاطب، وإنما يحذف لقصد المبالغة؛ لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به، فلا يكون له ذلك الوقع، ومن ثم لا يحسن تقدير الجواب مخصوصا إلا بعد العلم بالسياق"<sup>(٣٩)</sup>. قال تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) (الذاريات:٧)، وقال تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) (البروج:١)، وقال تعالى: (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) (الطارق:١)، وقال تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) (الطارق:١٢، ١٣)، وقال تعالى: (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) (الشمس:٥، ٦)، وقد حذف في كل ما سبق جواب القسم؛ للتهويل، ولتقديره النفس بأى صورة مناسبة، وفيه تكثير المعنى<sup>(٤٠)</sup>.

#### ● حذف العائد:

قال تعالى: (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (البقرة:١٦٤)، أراد سبحانه بيان قدرته في خلقه، وتوضيح دلائل هذه القدرة المتمثلة في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك، وتصريف الرياح، والسحاب المسخر؛ وذلك لئلا يتوهم أحد بذكر العائد - وهو مفعول به - أنه سبحانه يصرف همته لإنزال الماء من السماء ويشغله ذلك عن عبادته وعن تدبير شئون الكون، فهو ينزل الماء، وينزل رحمته، وينزل رزقه، وينزل عونه لعباده على قضاء حوائجهم، وينزل أقداره بهم كما شاء، وكيف أراد؛ فإنزال الماء إذن ضمن هذه

(٣٩) البرهان في علوم القرآن ١٨٣/٣.

(٤٠) انظر / خصائص التعبير القرآني ٦٩/٢.

الإنزالات جميعا، التي يقوم عليها - سبحانه - ، وقد وسع كرسيه السماوات والأرض، فهذا ما أفاده حذف العائد في الآية الكريمة، ولو ذكر لقصر البيان عن ذلك<sup>(٤١)</sup>. وأصل التعبير وما أنزله، فحذف العائد؛ لأن فيه جمع لمختلفات تظهر قدرته تعالى، وكلها ظاهرة، وليحدث بحذفه تكثير للمعنى المراد؛ لأن المراد بالفعل ليس محصورا في واحد من هذه الأشياء دون الآخر.

ومثله قوله تعالى: (وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الجاثية: ٥).

#### ● حذف الموصوف:

يحذف الموصوف وتقوم الصفة مقامه إذا كان هنا دليل عليه يفهم من السياق، "أو شهدت به الحال، فإذا استبهم كان حذفه غير لائق"<sup>(٤٢)</sup>. ومما ورد في موضع ذكر السماء والأرض، قوله: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (العنكبوت: ٢٢)، يتحدى القرآن من كفر منهم بأنهم لا يضاهون الله تعالى في قوته، ولو جمعوا من الشركاء ما جمعوا. بل الأكثر من ذلك. بل حتى من عبدهم ظنا منهم أنهم قادرون على مبارزته سبحانه بقوله: "فليس لكم من قوة في هذا الوجود تمتنعون بها من الانقلاب إلى الله. لا من قوتكم في الأرض، ولا من قوة ما تعبدونه أحيانا من الملائكة والجن وتحسبون له قوة في السماء"<sup>(٤٣)</sup>، قد حذف الموصوف فتقدير الكلام كما يقول أبو هلال العسكري: "ولا من في السماء بمعجز"<sup>(٤٤)</sup>. ورغم أن كثيرا من المؤلفات درجت على جعل هذه

(٤١) انظر/ الإيجاز في كلام العرب، ص ٣٠٨.

(٤٢) المثل السائر لابن الأثير ٢/٣٠٢.

(٤٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٣١.

(٤٤) الصناعتين، ص ٥٧.

الآية من حذف الموصوف، إلا أن البحث لا يرى فيها حذفاً أصلاً؛ وذلك لأن قوله في (أنتم) يفيد أنهم غير معجزين الله تعالى في الأرض ولو صعدوا إلى السماء بطريقة أو بأخرى فإنهم لن يعجزونه تعالى في السماء، وعلى هذا لا يكون في الآية حذفاً.

وقال تعالى: (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا) (الإسراء: ٩٢)؛ فالكاف في قوله: (كما) صفة لموصوف محذوف، والمعنى: أو تسقط أنت علينا السماء إسقاطاً مماثلاً لما هددتنا به، من أن في قدرة ربك - عز وجل - أن ينزل علينا عذاباً متقطعاً من السماء<sup>(٤٥)</sup>، فحذف الموصوف؛ لإخفائه لفهمه من السياق، وهو سياق أن تسقط، ولو ذكر لكان تكراراً لا فائدة منه، فحذفه احترازاً من العبث؛ حتى لا يثقل المقام بذكره مرتين. وقال تعالى: (وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا جِبَالًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) (النور: ٤٣)، فالتقدير: وينزل من السماء شيئاً من جبال، فحذف الموصوف واكتفى بصفته، وهذا أفضل الوجوه التي قيلت في الحذف في هذه الآية، وهذا الوجه هو الصحيح؛ لأن قوله تعالى: (فيها من برد) يحوجك إلى مفعول يعود الضمير إليه<sup>(٤٦)</sup>.

#### ● حذف المعطوف عليه:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (آل عمران: ٩١). جاءت الآية في معرض التخويف والتهديد والتذكير بأنه لن يقبل من الكافر ما يفدي به نفسه وإن استطاع أن يملأ الأرض ذهباً، وفيها تبيكيت له وتجهيل

(٤٥) انظر/ روح المعاني ٨ / ١٦٠، و/الوسيط لطنطاوي ٨ / ٤٢٩.

(٤٦) انظر/ التبيان للعكبري ٢ / ٩٧٥.



لامتتاع وجود مثل هذه الأشياء في الآخرة، وإنما أتى بها هنا زيادة في التعجيز؛ لأنه لا يستطيع فعل ذلك في الدنيا فكيف بالآخرة، وقد حذف جملة المعطوف عليه في سياق (لو)، ولهذه الكلمة خصوصية في مثل هذا السياق؛ لأنها "تجيء منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء، وما بعدها جاء تنصيماً على الحالة التي يظن أنها لا تتدرج فيما قبلها"<sup>(٤٧)</sup>، وفي هذا الموضع يظهر أن "المنطوق منبها على المسكوت عنه؛ بمعنى أن الافتداء بملء الأرض ذهباً هو جدير بالقبول، فإن لم يقبل فبطريق الأولى أن لا يقبل الافتداء بأقل من ذلك"<sup>(٤٨)</sup>، فيحتمل المعنى نفي القبول على كل وجه، ثم خص من تلك الوجوه أليقها وأحراها بالقبول<sup>(٤٩)</sup>، وقصد من الآية إيقاع اليأس في نفوسهم في الإفلات من العذاب.

---

(٤٧) البحر المحيط ٣/ ٢٥٦، نظم الدرر ٤/ ٤٨٠، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ص ١٣٠.

(٤٨) انظر/ إعراب القرآن وبيانه ١/ ٥٦٢. وانظر/ نظم الدرر ٤/ ٤٨١.

(٤٩) انظر/ تفسير الثعالبي ٢/ ٧٥.

## الفصل الثالث

النقد الأدبي  
تعريفه  
وظيفته  
غاياته  
نماذج تطبيقية

## مقدمة: في علاقة النقد بالأدب

لا ينفصل النقد عن الأدب، فالأدب هو موضوع النقد وميدانه الذي يعمل فيه، وأدب أية أمة هو الموروث من بليغ شعرها ونثرها، والأدب عملية خلق وإبداع، والنقد هو الذي يستكشف إبداع الأدب، أو اتباعه (تقليده)، وسواء كان النقد علماً، أو فناً، فإنه متصل بالأدب، يستمد منه وجوده، ويسير في ظله، راصداً خطاه واتجاهاته.

والسؤال: أيها أسبق الأدب أم النقد؟

وإذا كان الأدب، بطبيعته، ينزع إلى الحرية والتجديد واكتشاف آفاق جديدة، يخلق فيها، ويعبر عنها، فإن النقد محافظ مقيد، إذ يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية بقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف، والحسن والقبح، وإصدار الأحكام عليها، لهذا قلما أوحى النقد إلى الأديب بتجارب جديدة، أو اكتشف له أرضاً وآفاقاً جديدة، لأن عبقرية الأديب المبدعة هي التي تتقدم على الطريق (١)، ومن هنا نفهم أن الأدب سابق على النقد، وأن النقد يكون بعد أن يكون الأدب، بل إن وجود النقد لا يقوم إلا بوجود الأدب.

ولم يكن تصور النقاد في مختلف العصور والبيئات لمفهوم النقد وأهدافه واحداً، وهذا أمر يوشك أن يكون طبيعياً في ميدان حيوي، كميدان النقد الذي يتأثر في كل عصر، بما حوله من ظروف أدبية وعلمية، ومن البديهي أن يختلف مفهوم النقد في القديم عما نفهمه في العصر الحديث، من أهدافه ووسائله، والأسس العلمية والفنية التي يركز عليها، والاتجاهات الفكرية التي تؤثر فيه، ولا ريب في ذلك، إذ يعود

الاختلاف في مفهوم النقد إلى اتساع دائرة المعارف الإنسانية في العصر الحديث،  
عما كانت عليه في الماضي.

## النقد في اللغة والاصطلاح

انطلق تصور القدامى لمفهوم النقد، من الدلالة اللغوية لمادة (نقد)، جاء في اللغة  
(١): نقدت الدراهم، وانتقدها: إذا ميزت جيدها من رديئها، وأخرجت زائفها، ومنها  
العيب، كما في قولهم: إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك، ومعنى نقدتهم:  
عبتهم. وتدور الدلالة في هذه المادة حول محورين: الأول: يتصل بنقد الدراهم،  
لتمييز جيدها من رديئها. والثاني: يتصل بزم الآخرين وعبهم.

والمعنيان قريبان، ولكن المعنى الأول أوسع دائرة من الثاني، لما يشتمل عليه  
من معنى فحص الجيد من الرديء؛ أما الثاني فيقتصر على معنى الذم وإظهار  
العيوب، ثم نقلت دلالة المعنى الأول من مجالها السابق (نقد الدراهم) إلى نقد  
الأساليب، وذلك لقابلية التمييز بين الأشياء التي تتضمنها كلمة النقد في أصلها  
اللغوي (٢).

وبقي للمعنى الثاني ظل مؤثر، تحكم في جوانب غير قليلة من النقد، ولا سيما في  
الكشف عن العيوب (الأخطاء) التي وردت في شعر مجموعة من الشعراء.

ويبدو أن خلفاً الأحمر (١٨٠ هـ)، من أوائل من وثقوا العلاقة بين نقد الدراهم، ونقد  
الشعر، وبمعنى آخر، هو ممن نقل الدلالة من (نقد الدراهم) إلى (نقد الشعر)، دون  
أن يستعمل كلمة (نقد)، إنما استعمل دلالة الكلمة فقط، وذلك في كلام له، أورده محمد

بن سلام الجمحي (٢٣٢ هـ) في كتابه (طبقات فحول الشعراء)، حيث يقول: وقال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته، فما أبالي ما قلت أنت فيه

وأصحابك، قال: إذا أخذت درهماً فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء، فهل ينفعك استحسانك إياه؟، فقد ربط بين عمل الصيرة تمييز الدراهم ونقدها، وصنيع النقاد في تمييز الشعر ونقده.

ثم دخلت كلمة (نقد) في الاستعمال الأدبي، في القرن الثالث الهجري، وهي تدل على تمييز جيد الشعر من رديئه، كما في قول بعضهم: رأني البحتري (الشاعر العباسي) ومعي دفتر شعر، فقال: ما هذا؟ فقلت: شعر الشنفرى (الشاعر الجاهلي) فقال: وإلى أين تمضي؟ فقلت: إلى أبي العباس (المبرد وهو عالم لغة ونحو مشهور) أقرأه عليه، فقال: قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابة، فما رأيت ناقداً للشعر، ولا مميّزاً للألفاظ، ورأيت يستجيد شيئاً وينشده، وما هو بأفضل الشعر، فقلت له: أما نقده وتمييزه، فهذه صناعة أخرى.

لقد مارس القدامى النقد، ونسبوا نقداً لقوم عاشوا قبل الإسلام، ولكننا لا نكاد نعثر على استخدام صريح لمصطلح (النقد) قبل القرن الثالث الهجري، فهذا ابن سلام (٢٣٢ هـ) في طبقاته التي يعدها الدارسون أقدم وثيقة في تاريخ النقد، لا نكاد نعثر فيها على ذلك المصطلح، مع أنه هو الذي نقل عبارة خلف الأحمر السالفة، وكان هو نفسه مارس النقد ممارسة عملية على وفق تصوره، وتصور علماء عصره لمفهوم النقد، ولكنهم كانوا يعبرون عن هذه الممارسة بعبارة (العلم بالشعر).

ويبدو أن أقدم محاولة اتخذت هذا المصطلح عنواناً لهذه الممارسة العملية ووصلت إلينا كانت على يدي قدامة بن جعفر في كتابه الموسوم (نقد للنقد الشعر) وقد صرح فيه بأن النقد تمييز جيد الشعر من رديئه، ومضى العلماء بعده باتخاذ النقد في عنوانات مؤلفاتهم، كما في كتاب القيرواني (٤٦٣ هـ) العمدة في صناعة الشعر ونقده.

\* \* \* \* \*

وإذا كنا لا نعثر على تعريف، محدد دقيق لمفهوم النقد قبل قدامة بن جعفر، فإن النقد التطبيقي الذي وصل إلينا من خلال النقود العديدة التي سبقت عصر قدامة، يكشف لنا عن طبيعة تصورهم لمفهوم النقد، وهو مفهوم، وإن كان يختلف من بيئة إلى بيئة أخرى، يكاد يلتقي عند مفهوم الدلالة اللغوية للمادة (نقد)، سواء كان ذلك في نقد الدراهم لتمييز جيدها من رديئها، أم في عيب الآخرين، مع ملاحظة أن المعنى الثاني كان أكثر شيوعاً وسيطرة على أذهان النقاد، ولا سيما في بيئة النقاد المحافظين الذين تعصبوا للقديم، كما ظل هذا المفهوم - وهو عيب الآخرين - بعد عصر قدامة يتمثل في بعض الأعمال التي تعصبت على مذهب أبي تمام في الشعر، وشخصية المتنبى وشعره.

ولم يتحرر النقاد القدامى من هذا المفهوم إلا في عمليين نقديين، تمثلا في كتاب (الموازنة بين الطائيين) للآمدي، و(الوساطة بين المتنبى وخصومه) لعبد العزيز الجرجاني، فقد حاول صاحباها أن يقوما بتطبيق عملي سليم لمفهوم النقد، يقترب من المعنى الأول لمفهومه، وهو نقد الدراهم لتمييز جيدها من رديئها، أو من تعريف قدامة حين صرح بأن النقد يبحث في تحليل جيد الشعر من رديئه.

غير أن هذا المفهوم لم يثبت كثيرًا، في الأعمال النقدية التي جاءت بعد الأمدي والجرجاني، فما هي إلا فترة وجيزة، حتى خفت صوت النقد بمفهومه السابق، ولم يعد أكثر من عبارات تقليدية، لا تخرج عن المدح أو القذح.

وكان النقد العربي القديم ساذجًا فطريًا، يعتمد على الإحساس والذوق البسيط، ثم أخذ في الرقي والتعقد، بتعدد حياة العرب الاجتماعية والثقافية والفلسفية، إذ أخذوا يناقشون مسائل البيان والبلاغة، ويعرضون لجمال الأسلوب وجودته وردائه، وتعاونت بيئات مختلفة على النهوض بالنقد، منها بيئة اللغويين إذ وضع هؤلاء الشعراء في طبقات، حسب جودتهم الفنية، ومنها بيئة الشعراء الذين أسهموا في بحث أدوات التعبير، وصور التأنق فيها، وناقشت بيئة المتكلمين مسائل البيان والخطابة، وشرعت بيئة الفلاسفة بمقاييس الجودة الرداءة في الشعر والنثر.

ولكن هذا النقد كان، في جملته، نقدًا عمليًا يتصل بالجزئيات، ولم ينظر الأدب أو الشعر نظرة عامة، فقد شغلتهم النظرة الجزئية، بحيث يمكن القول إن نشاطهم النقدي كان أقرب إلى البلاغة منه إلى النقد الخالص، ولا ننكر أنهم تركوا كثيرًا من الأحكام العامة، إلا أنها تجري على ألسنتهم في جمل مركزة، قلما حللواها.

وقد نجدهم يشيرون إلى التأثير بالبيئة والعصر والثقافة، أو يقارنون بين الشعراء، أو بين شاعرين معينين، ولكن هذا كله، لا يتحول إلى نظريات نقدية، وبالمثل ما نثروه من أقوال عن التأثيرات النفسية بالكلام، فكل ما يقولونه في هذا الصدد لا يطلونه، إنما هي ومضات خاطفة، ومن الصعب أن نجعل لهم فلسفة جمالية، أو أن نجعل لهم نظريات نقدية، بالمعنى الدقيق باستثناء جهد عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) على أن جهده كان ممتزجًا بالبلاغة. ومع ذلك

فقد تركوا ملاحظات، لا تكاد تحصى عن خصائص الكلمات والعبارات الأدبية، بل تركوا آثاراً تفيد في تدريب الذوق على الأسلوب الفني، تنتظم في البلاغة، وقلما انتظم منها شيء في أصول النقد، أو في الأدب ومكانته في الحياة.

## النقد والذوق

النقد في كلمات قليلة، هو القدرة على تذوق الأساليب المختلفة والحكم عليها، ولما كانت الآثار الأدبية متدرجة، من حيث ما تحويه من قيم جمالية، وليس هناك معيار واحد لقياس الجمال، إذ المعول في ذلك هو تقدير الإنسان المتلقي، ولما كان الناس متفاوتين في تقديراتهم للأثر الأدبي - فالجدل في القيم الجمالية يبقى قائماً، ولكنه جدل له حدود، أو مفاهيم أولية ينطلق منها، والذوق أحد المنطلقات، إن لم يكن أهمها. ولكن كيف يمكن أن يترقى (الذوق الأدبي)، فيصبح وسيلة مشروع من وسائل الحكم على الآثار الأدبية؟ وكيف نثق في هذا الذوق، ونعتمد عليه بوصفه ميزاناً يزن تلك الآثار، فيعدل في الحكم، ويصدق الناس حكمه؟

للإجابة، نتتبع بحث ابن خلدون ( ٨٢١ هـ) للذوق، وقد كان بحثه موضع استشهاد من قبل كثير من الباحثين، قال ابن خلدون:

اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان. ومعناها: حصول ملكة البلاغة للسان، وقد مر تفسير البلاغة، وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه، بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك؛ فالمتكلم بلسان العرب، والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك، على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك



الوجه جهده، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب، حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه، وسهل عليه أمر التركيب، حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب، وإن سمع تركيباً، غير جار على ذلك المنحى مجه، ونبا عنه سمعه بأدنى فكر، وبغير فكر إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة، فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في مجالها، ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل.

ثم يقول: وهذه الملكة إنما تحصل بممارسة كلام العرب، وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تركيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علماً بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها. فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم، ونظم كلامهم، ولو رام صاحب هذه الملكة جيداً. هذه السبيل المعينة، والتراكيب المحفوظة لما قدر عليه، ولا وافقه عليه لسانه لأنه لم يعتد عليه، وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أساليب العرب، وبلاغتهم في نظم كلامهم، أعرض عنه ومجه، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم، وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك، كما يصنع أهل القوانين النحوية والبيانية، فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقرار، وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب.

وقال: واستعير لهذه الملكة، عندما ترسخ وتستقر، اسم (الذوق) الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان، وإنما هو موضوع لإدراك الطعوم، ولكن لما كان محل هذه الملكة اللسان، من حيث النطق بالكلام، كما هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه، وأيضاً فهو وجدان للسان، كما أن الطعوم محسوسة له، فقيل له: ذوق... ومن

عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب، فليس من تحصيل الملكة في شيء، إنما حصل أحكامها، وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة، والاعتیاد، والتكریر لكلام العرب... وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية، حصول هذا الذوق له بهما، وهو غلط، أو مغالطة، وإنما حصلت له الملكة، إن حصلت، في تلك القوانين البيانية، وليست من ملكة العبارة في شيء (١).

---

(١) المقدمة، لابن خلدون، ص ٥١٥-٥١٧

لقد عرف ابن خلدون (الذوق) في هذه العبارة بأنه ملكة راسخة في المرء، تظهر في لسانه ناطقًا على نهج كلام العرب، أو متذوقًا للكلام، قابلاً منه ما وافق نهج الكلام العربي، وحائداً عما لا يتفق مع هذا النهج، ورأى أن هذا الذوق الذي يجعل صاحبه منتجًا أو ناقدًا، إنما ينشأ من ممارسة كلام العرب، وكثرة تكريره على اللسان، وطول سماع الأذن له، والتنبه على الخصائص التي في الأساليب العربية، فيستطيع المنشئ، أن ينشئ، والناقد أن ينقد.

أما دراسة علوم البيان فإنها لا تحصل هذه الملكة، كما أن دراسة قواعد النحو لا تخلق اللسان الذي يستطيع أن يتكلم في صحة وإبانة، وإنما تستطيع القوانين البيانية أن تخلق ملكة في هذه القوانين، أما أن تخلق اللسان الذواق فلا، وكان ابن خلدون بذلك يرى الناقد الحق مارس كلام العرب، وألفه وعرف مناهجه، وأسرار هذه المناهج، أما دراسة هذه القوانين البيانية وحدها، من غير ممارسة ومدارسة للكلام العربي البليغ فإنها لا تخلق الذوق. وهذه الفكرة من الناحية العملية، صائبة إلى مدى

بعيد، لأننا نرى كثيراً من أولئك الذين يدرسون علوم البيان لا يكادون يبينون عما في أنفسهم، ولا يكادون يميزون بين الحسن والرديء، إذا خرجوا عن مجال الأمثلة التي درسوها في كتب قواعدهم.

ولم يحدثنا ابن خلدون عن الذوق بمعنى الاستعداد الخاص الذي يهيئ صاحبه لتقدير الجمال، والاستمتاع به، ومحاكاته بقدر ما يستطيع في كلامه، وإنما عني بالذوق المثقف هذه الثقافة اللغوية الأدبية، وكأنه أغفل أمر الاستعداد من غير ثقافة لغوية أو أدبية لا يثمر شيئاً، ومثله مثل بذرة لم تهئ لها البيئة الصالحة لإثمارها، فلا يظهر لها ساق ولا فروع ولا ثمرة.

هذا الذوق المثقف مكتسب ولا ريب، وإن كان يبدو أنه فطري طبيعي، يقول ابن خلدون: (إن الملكات إذا استقرت ورسخت في مجالها، ظهرت كأنها طبيعة، وجبلة لذلك المحل، ولذلك يظن كثير من المغفلين، ممن لم يعرف شأن الملكات، أن الصواب للعرب في لغتهم، إعراباً وبلاغة، أمر طبيعي، ويقول: كانت العرب تتطق بالطبع، وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام، تمكنت ورسخت؛ فظهرت في بادئ الأمر، أنها جبلة وطبع)

فالذوق، في مجال الحكم على الآثار الأدبية، أمر لا بد من قيامه على أن يكون الذوق الذي تربي وقويت ملكته، ولقد أدرك النقاد العرب هذه الحقيقة، ففي الخبر الذي نقلناه آنفاً عن أن أحدهم سأل خلف الناقد: إذا سمعت أنا واستحسنته، فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال: إذا أخذت بالشيء فاستحسنته، فقال لك للصراف: إنه رديء، فهل ينفعك استحسانك إياه؟

وهنا يدرك ابن سلام، وغيره من النقاد حقيقتين أساسيتين من حقائق النقد الأدبي، هما أولاً اعترافه بمبدأ التذوق والتأثر العمل الأدبي، والثاني الحد من هذه التأثيرية، وعدم الخضوع إلا لما كان مدرباً منها، فليس الاستحسان المجرد عنده، كافياً للحكم بالجودة، وإنما ينبغي أن يصدر الاستحسان ممن هو أصيل في هذا الفن عارف به .

وإذا كان النقاد العرب يرون ممارسة الأدب ومخالطته شرطاً أساسياً في تربية الذوق، ولا تغني عنه دراسة علوم البلاغة والنقد وغيرها، فإنهم يرون حاجة الناقد إلى علوم أخرى، تفيده لا في تربية الذوق، ولكن في تسديد العملية النقدية، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، ولكي يكون النقد شاملاً من جميع نواحيه، فغير خاف أن النص يضم إشارات تاريخية

وثقافية، لا يستطيع الناقد يفصل فيه، إلا كان على علم بما يشير إليه ويدل عليه، وهكذا يتوجب على الناقد الأدبي، أن يمتلك استعداداً لإدراك الجمال والقبح في النصوص الأدبية، ثم ينمي الاستعداد ذوقاً، ولا تكون التنمية إلا بمخالطة النصوص الرائعة، ثم يضم إلى ثقافة واسعة شاملة.

### حقيقة النقد

والنقد، في حقيقته، تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة، أو إلى الأدب خاصة، يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقويم، وهي خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، وهي متدرجة على هذا النسق، كي يتخذ الموقف نهجاً واضحاً، مبنياً على قواعد جزئية أو عامة،

مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التمييز، ومثل هذا المنهج لا يمكن أن يتحقق حين يكون أكثر تراث الأمة شفويًا، إذ الاتجاه الشفوي لا يمكن من الفحص والتأمل، وإن سمح بقسط من التدوق والتأثر، ولهذا تأخر النقد المنظم حتى ظهرت قواعد التأليف الذي يهيئ المجال للفحص والتقليب والنظر.

والتأليف يخلق مجالاً صالحاً، و لكنه لا يستطيع أن يخلق وحده نقداً منظماً؛ بل لابد من عوامل أخرى، وأهم هذه العوامل جميعاً الإحساس بالتغير والتطور: في الذوق العام، أو في طبيعة الفن الشعري، أو في المقاييس الأخلاقية التي يستند إليها الشعر، أو في العادات والتقاليد التي يصورها، أو في المستوى الثقافي ونوع الثقافة، في فترة إثر أخرى، أو مجموعة من القيم على وجه التعميم، ذلك لأن هذا الإحساس بالتغير والتطور هو الذي يلفت الذهن، أو ملكة النقد، إلى حدوث (مفارقة) ما، ولا بد لهذه المفارقة، أول الأمر، من أن تكون ساطعة متباعدة الطرفين، حتى تمكن النظر الذي لم يألّفها قبلاً، من رؤيتها بوضوح.

ولقد حجب التطور عن عيون النقاد القدامى سببان:

أولهما: علو النماذج الشعرية الجاهلية، فهي أرقى غاية، وأعلى رتبة من غيرها، لذلك كانت تقاليد مقدسة، لا يسمح الذوق الأدبي العام

بتجاوزها.

ثانيهما: حركة الإحياء لتلك النماذج في العصر الأموي وبعض العصر العباسي، إذ عدت هي الطرائق المثلى لنظم أي شعر عربي، ولو عاش صاحبه في عصر غير عصر تلك النماذج، فاتخذت قبلة للجميل أو الرائع من الشعر.

ولهذا لم يبدأ الإحساس بالتغير والتطور، إلا حين أخذت بعض الأذواق، تتحول عن تلك النماذج إلى نماذج جديدة، وحين أخذت المقاييس الأخلاقية والقيم العامة والتقاليد المتبعة، تنحني أمام تيارات جديدة، أو تصطدم بها، وحين تعددت المنابع الثقافية، وتباينت مستوياتها.

من خلال النماذج النقدية القديمة، يمكن لنا أن نشير إلى الموضوعات التي كانت محط اهتمام الناقد العربي القديم، وبذا نستطيع رصد حركة النقد في التاريخ الأدبي، وبيان اتجاهاته، والموضوعات هي:

أ- التركيز على فنون القول، الشعرية والنثرية، وترتيبها، من حيث تأثيرها في نفوس المتلقين، وبيان أثرها الاجتماعي، وتقسيم الشعر والنثر إلى أقسام، ودراسة الطبيعة الفنية لكل منهما، والكشف عما يؤثر في الشعر، مما يجعل الشعر مختلفاً، فيرق حيناً، ويجفو حيناً آخر، أو يتحضر حيناً ويبدو حيناً آخر.

ب- دراسة القصيدة من حيث بناؤها، ورصد المطالع، والمقاطع،

والانتقال من غرض إلى آخر، وبيان وحدة البيت، وحسن تنسيق القصيدة، وترتيب البيت، وموضعه من باقي الأبيات، وقد درس النقاد القصيدة من نواحيها المختلفة:

من ناحية المعنى. فوضعوا له عدة مقاييس، كالصدق والكذب، والصحة والخطأ، والتقليد والابتكار، والنقص والكمال، والدين والأخلاق، والعمق والسطحية، والتناسب والتنافر.

ومن ناحية الأسلوب، ففرقوا بين الأسلوب الجزل، والأسلوب السهل، وعرفوا الأسلوب الواضح، والكلام المعقد، والمطبوع والمتكلف، والمتحد النسج والمختلف، كما درسوا ألوان محسنات الأسلوب، وأنواع الزخارف التي تكسبه الجمال إذا كانت بمقدار، ووقفوا طويلاً عند الكلمة، فعرفوا السهلة، والثقيلة، والوحشية، والغريبة، والسوقية المبتذلة، والجزلة، والموحية، والتمكنة، والقلقة، والدقيقة، والمشتركة.

وعرفوا أوزان الشعر، وما قد يجد فيها من عيوب تضعف موسيقى الشعر، وتذهب بجمال وزنه.

ومن ناحية الخيال، عرفوا منه الخيال الوصفي، الذي يتجلى في المجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكنائية، فبينوا المقبول منه والمرفوض، وعرفوا بطبيعته، وفرقوا بين بعض أنواعه وبعض.

أما العاطفة فعبروا عنها بقواعد الشعر، لأن هذا التعبير لم يكن معروفًا عندهم بهذا المعنى الاصطلاحي، وأدركوا أن المعاني الشعرية، والعواطف النفسية إنما يتوصل إلى توضيحها بالخيال، وبضرب الأمثال.

وتعمقوا في فهم الشعر وتذوقه، وفي معرفة مميزات الشعراء وخاضوا في دراسة الشعراء، ورتبوه طبقات، وقالوا في كل شاعر رأياً، ووضعوا أسساً لترتيب الشعراء في طبقات، ونبهوا إلى أنه من الضروري الوثوق من نسبة الشعر إلى قائله، بعد أن رأوا الكذب في الرواية والتزويد فيها.

وتجاوز نقدهم للشعر بنيته ومعانيه إلى نقد الشعور، والتفرقة بين إحساس وإحساس، كما فعل ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء).

١ . دراسة النثر دراسة منفصلة عن الشعر، وتفصيل الأنواع النثرية، كالرسائل التي اهتموا بها اهتماماً متزايداً، وكتبوا في ذلك الكتب الضخمة التي تتحدث عن مطالعها، ومقاطعها، وأسلوبها، وخيالها، ووحدتها، وغير ذلك مما يتعلق باختيار ألفاظها، والاستشهاد بالشعر فيها.

وكثير من الموضوعات التي عالجوها في نقد الشعر عالجوها كذلك في نقد الرسائل، فباب الخيال مثلاً من مجاز، وتشبيه، واستعارة، وكناية، يشترك فيه الشعر والنثر معاً. وباب الأسلوب وأنواعه، والكلمة وصفاتها، يعالج فني القول معاً، وكثير غير ذلك يدخل الفنين أيضاً. وأطالوا القول في موسيقى النثر من جهة السجع، ومدى قيمته أو جماله. كما عرفوا الجدل والمناظرة، وبينوا السليم الموفق منهما، وما يخطئه التوفيق.

أما الخطابة فقد تحدثوا فيها عن صفات الخطيب الناجح، والخطابة الناجحة، وكيف يجب أن يكون لكل مقام مقال، وتحدثوا عن وحدة الموضوع في الخطابة، والاستطراد، والارتجال، والاستعداد. وعن طول الجمل وقصرها، واختيار ألفاظها



ومعانيها، وعن الطبع والتكلف فيها، ومدى اقتباسها من القرآن والحديث، وأخذها من الشعر، وما يكون فيها من استشهاد بالأمثال، وإشارة إلى التاريخ، وأضافوا إلى ذلك كله صفات ثانوية، تجعل للخطابة أثرًا في نفوس السامعين؛ فينقادون للخطيب.

## النقد الأدبي

مصطلح (النقد الأدبي) جديد على الساحة العربية، لم تعرفه لغتنا إلا في العصر الحديث بعد الاتصال بالغرب، هو ترجمة حرفية للمصطلح الغربي literary criticism الذي يعني مجموعة الأساليب المتبعة (مع اختلافها باختلاف النقاد) لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض، وتفسير النص الأدبي والإدلاء بحكم عليه، في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها ناقد من النقاد.

ومنذ القرن السادس عشر في إنجلترا وإيطاليا، والسابع عشر في فرنسا وألمانيا، أصبحت وظيفة الأديب مستقلة معترفًا بها، ويعد النقد الأدبي أساسها النظري، لذلك دخلت فكرة النظرية الأدبية، بما لها من قواعد وفلسفة فنون وعلم جمال، في حيز مفهوم النقد الأدبي، وما يزال الجدل قائمًا حول ماهية النقد الأدبي.

ويبدو أن المدة الزمنية التي بدأنا نعرف فيها المصطلح الجديد تعود إلى مطلع القرن العشرين، ولا شك أن هناك فروقًا جوهرية بين المصطلح القديم والمصطلح الحديث تعود إلى طبيعة كل منهما، فالنقد الحديث أوسع دائرة، وأكثر شمولًا لعناصر الأدب، وأكثر ارتكازًا على الثقافات المتعددة، والمعارف المتنوعة، فهو نقد اتجاهات

وفلسفات، ينتهي آخر الأمر إلى مدارس نقدية، ويفرض البحث في فلسفة الأدب، وأهدافه ومصادره ووظائفه في الحياة، وفي خصائصه الجمالية ومبادئه الفنية وأصالته المتميزة، بينما النقد القديم، وفي معظم أحواله، نقد جزئيات ، يعني بالبيت والبيتين، ولا يعني بالقصيدة كاملة، يغفل التعليل والتحليل لما يصدر من أحكام، وغالباً ما تكون أحكامه متأثرة بالمواقف الدينية أو المذهبية أو القبلية.

وبرزت للنقد، في العصر الحديث، مفاهيم جديدة ومتنوعة، انطلق أصحابها من مواقف محددة لدور الأدب في الحياة، وأصبح للنقد مدارس واتجاهات، وتأثر النقاد بالنقد الأوروبي الحديث، الذي يرى أن النقد فن تقويم الأعمال الفنية والأدبية، وتحليلها تحليلاً قائماً على أساس علمي.

ولعل التوافق العجيب بين اللفظ العربي (نقد) المنقول الدلالة من تمييز الدراهم إلى تمييز الأساليب واللفظ الإنجليزي (CRITISISM) المشتق من فعل يوناني قديم بمعنى (يميز أو يحدد)، جعل من اليسير نقل المفاهيم الأوروبية للنقد إلى الفكر العربي المعاصر، فضلاً عن أن كثيراً من الأنماط الأدبية الحديثة اقتفت آثار الآداب الأوروبية. وإذا كانت المفاهيم الغربية للنقد، تلتقي عند كون النقد الأدبي، يعتمد على فحص المؤلفات، والمؤلفين القدماء أو المعاصرين، لتوضيحهم وشرحهم وتقديرهم، فإن هذا المفهوم نجده بعبارات مختلفة عند النقاد العرب المعاصرين، مهما اختلفت اتجاهاتهم النقدية، بحيث يمكن القول بأن هناك شبه اتفاق على أن النقد هو فن تمييز الأساليب، كما أن التصورات الحديثة لمفهوم النقد ومهمة الناقد لم تعد كما كانت عليها في الماضي، ولم تعد المشكلات الأساسية تستوقف النقد الحديث، كتلك التي كانت تعترض طريق النقد القديم.

فقد استطاع النقد الحديث أن يكتشف آفاقًا جديدة تتصل بتجارب الشعراء وأعمالهم الأدبية، كما استطاع أن يبصرنا بالكثير من القيم الفنية الأصيلة في الأدب العربي التي أغفلها النقد القديم.

\*\*\*\*\*

## الدراسات القرآنية وتطور النقد وقضايا البيان

توالى الدراسات القرآنية التي استهدفت الكشف عن بلاغة القرآن وكان لها الأثر الأول في تطور النقد وقضايا البيان ، وقد ذكر ابن النديم (ت ٤٣٨هـ) أسماء مجموعة من العلماء، بدأوا منذ نهاية القرن الثاني الهجري بتناول القرآن وما فيه من وجوه المعاني والمجاز والإعجاز، وقد تعرض هؤلاء للتعبير القرآني، وكيفية تصرفه في الخطاب، وترتيب الكلام، وطرق أداء المعنى، وتناولوا أسلوب القرآن وجوانبه البيانية، وتعرضوا لقضية الإعجاز البياني بمقارنة القرآن بالشعر والأدب العربي، ومن هنا اختلطت مقاييس النقد بالدراسات القرآنية، واستخدم علماء الإعجاز مصطلحات البلاغيين في محاولة منهم لبيان بديع الأسلوب القرآني.

ثم إن كثيرًا من المقاييس النقدية التي ظهرت في أيدي النقاد الأوائل، كانت متأثرة بمقاييس التعبير القرآني، فلم يحاول النقاد وضع قواعد عامة يناقشون من خلالها أصول الجودة والإتقان الفني، خوفًا من أن تصطدم مقاييسهم بالتعبيرات القرآنية، فيقعون في محذور رهيب، فاتجهوا إلى تعبيرات الكتاب الكريم يدرسونها في

أناة وروية، ومن خلال هذه الدراسة المتأنية ظهرت أمامهم كثير من الطرق في أداء المعنى، فوضعوا حدودها واتخذوها مقياساً، يقاس به كل عمل أدبي، شعراً كان أم نثراً، غير ناظرين إلى اختلاف الجنس الفني الذي يتناولونه بالمقارنة إلى أسلوب القرآن.

ولا شك أن قضايا النقد في الشعر تختلف عن قضايا النقد في النثر، ولكن النقاد لم يفرقوا بين هذا وذاك، بل طالبوا الأدباء جميعاً بأن يترسموا خطا القرآن في أدائهم للمعنى، نثراً كان أم نظماً، ولعل إهمال النقاد جميعاً لجانب مهم من جوانب النقد، وهو جانب المتكلم، إنما يرجع بالضرورة لعجزهم عن تناول هذه القضية بالنسبة للقرآن، متناسين الاختلاف الكبير بين كتاب منزل من السماء، وكلام ابتدعه أهل الأرض.

\* \* \* \* \*

ويتضح أثر القرآن في النقد والبلاغة وتطورهما، في السبب الذي دفع أبا عبيدة، لكي يؤلف كتابه (مجاز القرآن)، ذلك أن أحد الكتّاب سأله عن التشبيه في قوله تعالى في شجرة الزقوم، طعام الكافرين في الآخرة: «إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعتها كأنه رؤوس الشياطين"، إذ إن في الآية تشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، والمراد من التشبيه ترهيب الناس، والمعروف أن الترهيب (وغيره من معاني الكلام) يجب أن يكون مفهوماً لكي يدركه السامعون، واضحاً لكي يستوعبوه، وأما الترهيب من خلال التشبيه في الآية، فلم يعرف مثله، كما قال ذلك الكاتب، فجاء جواب أبي عبيدة بموافقة القرآن الكريم في هذا لما هو معروف في كلام العرب، فقد قال شاعر العرب الكبير امرؤ القيس:

## أيقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أحوال

وهو يستنكر أن يقتل والمشرقي (السيف) والمسنونة الزرق (الرمح) قربه، وقد شبه سنان الرمح بأنياب الغول. قال أبو عبيدة: والعرب لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم (يخيفهم)، أوعدوا به، واستحسن السامعون جوابه، فعزم على أن يضع كتاباً في القرآن، في هذا وأشباهه.

ولكن الجاحظ (٢٥٥ هـ) لم يرتض تعليلاً أبي عبيدة، فذهب يفصل القول في وجه الشبه، مبيناً سر جماله، فأوضح أنه منتزع من غير ما هو مدرك بالحس، اعتماداً على ثبوته في الإدراك بطريق العرف والعادة، وتناقل الناس له، فالشيطان عند الناس، وإن لم يره، مرتبط بالقبح والاستهجان، وعلى صورته في نفوسهم بُني التشبيه القرآني، قال: وليس إن الناس رأوا شيطاناً قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين، واستسماجه وكرهته، وأجرى على ألسنتهم ضرب المثل في ذلك، رجع الإيحاش والتنفير، وبالإخافة والتفريع، إلى ما قد جعله في طباع الأولين والآخرين، وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم.

\*\*\*\*

### صور من النقد العربي القديم

روي أن أربعة من الشعراء، فيما قبل الإسلام، تحاكموا إلى رجل، ليقول رأيه في شعر كل منهم، الشعراء هم: الزبيرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وعبد الطيب،

والمخبل السعدي، فقال الرجل للزبرقان: أما أنت، فشعرك كلحم أسخن، لا هو أنضج فأكل، ولا ترك نبيًا فينتفع به، وأما أنت يا عمرو، فإن شعرك كبرود حبر، يتلأأ فيها البصر، فكما أعيد فيها النظر، نقص البصر، وأما أنت يا مخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة، فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها، فليس تقطر ولا تمطر.

ولعل هذا النموذج من أرقى الأمثلة، وأشدّها دلالة على طبيعة النقد الأدبي، قبل أن يصبح لهذا النقد كيان واضح، فهو نموذج يجمع بين النظر والتركيبية والتعميم والتعبير عن الانطباع الكلي، دون اللجوء إلى التعليل، وتصوير ما يجول في النفس بصورة، أقرب إلى الشعر نفسه، وذلك هو شأن أكثر الأحكام التي نجدها، منذ عصر ما قبل الإسلام إلى أواخر القرن الثاني الهجري، وإذا كان هذا النموذج من أرقاها، فإن معظم النماذج الباقية، إنما تتحدث عن شؤون خارجة عن الشعر نفسه، أو عن جزئية فيه.

ومن أقدم ما عرف عن النقد في عصر ما قبل الإسلام حكومة أم جندب الطائية بين الشاعرين: امرئ القيس وعلقمة الفحل، فقد رواوا أن امرأ القيس لما كان عند بني طيء، زوجته منهم أم جندب، وبقي عندهم ما شاء الله، وجاءه يوماً علقمة بن عبدة التميمي، وهو قاعد في خيمته، وخلفه أم جندب، فتذاكرا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك! وقال علقمة: بل أنا أشعر منك فقال: قل، وأقول؟ وتحاكما إلى أم جندب، فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها:

**خليلي مرا بي على أم جندب \*\*\* لنقضي حاجات الفؤاد المعذب**

ثم قال علقمة في القافية والروي، قصيدته التي مطلعها:

**ذهبت من الهجران في كل مذهب \*\*\* ولم يك حقا كل هذا التجنب**

واستطرد كل منهما في وصف ناقته وفرسه، فلما فرغ علقمة فضلته ام جندب على امرئ القيس، فقال لها: يم فضلته علي، فقالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك قال: وبماذا! قالت: إنك زجرت، وحركت ساقيك، وضربت بسوطك. تعني قوله في قصيدته حيث وصف فرسه:

**فللزجر ألهوب ولساق درة \*\*\* وللسوط منه وقع أخرج مهذب**

وقال علقمة:

**فأدركهن ثانياً من عنانه \*\*\* يمر كمر الراح المتحلب**

فأدرك فرسه ثانياً من عنانه، لم يضربه بسوط ولم يتعبه.

فقال امرؤ القيس: ما هو بأشعر مني، ولكنك له وامق، فطلقها، فخلفه عليها علقمة الفحل.

ويبدو الهوى واضحاً في حكم أم جندب، بتفضيل قصيدة علقمة على قصيدة امرئ القيس، فقد أخبر المخبرون عن الشعراء أن امرأ القيس كان رجلاً غير محبب إلى النساء، فكن يتحملن عشرته كارهات، وتلك الكراهية كانت عاملاً نفسياً له أثره في هذا الرأي الذي أبدته أم جندب، ولم تصدر فيه عن علة معقولة، أو نظرة عميقة في

قصيدتي الشاعرين، ولم يستوعب رأيها ما في القصيدتين كاملتين من الصور الكثيرة والمعاني المتعددة، ولم تراع فضل السابق على المتأخر.

ولقد قرأ امرؤ القيس هذا الهوى في عيني أم جندب، فسألها عن سر تفضيلها شعر علقمة على شعره، فحاولت أن تلتمس العلة الموضوعية التي تسوغ بها رأيها، فلم تجد هذه العلة بعد الجهد إلا في بيت واحد، رأت فيه أن امرأ القيس زجر، وحرك ساقيه، وضرب بسوطه، وبذلك أدرك ما أراد، وأن فرس علقمة أدرك غايته ثانياً من عنانه.

وقد يكون ما ذهبت إليه أم جندب مقبولاً، لو أن امرأ القيس كان يعني أن حصانه لا يسير إلا بتحريك الساقين، والزجر والضرب بالسوط، ولكن الحقيقة أن تحريك الساقين، واستعمال السوط لازمتان من لوازم كل فارس، مهما يكن فرسه.

وليس في بيت امرئ القيس ما يدل على بلادة جواده، فإن معنى بيته أنه إذا مسه بساقه ألهبه الجري، أي جرى جرياً شديداً كالتهاب النار، وإذا مسه بسوطه درّ بالجري، كما يدر السيل والمطر، وإذا زجره بلسانه، وقع الزجر منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل له.

\* \* \* \* \*

ومر المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة، فاستشده، فأنشدهم:

ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم \*\*\* نحبيك عن شحط وإن لم تكلم

فلما بلغ قوله:

وقد أتناسى الهم عند ادكاره \*\*\* بناج عليه الصيعرية مكرم



فقال طرفة، وهو صبي يلعب مع الصبيان: (استنوق الجمل) !. و(الصيعرية) سمة في عنق الناقة لا البعير، فلما سمع طرفة (ناج عليه الصيعرية) قال: قد استنوق الجمل !، وقد روي طرفة قال هذا القول لعمر بن كلثوم التغلبي، حين وفد على عمرو بن هند ملك الحيرة، فأنشده شعراً له وصف فيه جملًا، فبينما هو في وصفه، خرج إلى ما توصف به الناقة، فقال طرفة: (استنوق الجمل)! . وعبارة طرفة على وجازتها، فيها هذا التحكم المرير الذي أملاه شعوره، وهو غلام، بالحرية التي كان العربي ينعم بها في القول، كما كان ينعم بها في العمل، فلم تمنعه حداثة سنه أن يتسمع مجالس الرجال، وأن يراقب عن كثب ما يدور فيها، حتى إذا كان ما لا يرضى من القول، اندفع لسانه بهذه العبارة التي صارت مثلاً في التخليط، وعدم وضع الشيء في موضعه

\* \* \* \* \*

وذكروا أنه لم يقو أحد من الطبقة الأولى، ولا من أشباههم إلا النابغة الذبياني، في قوله:

أمن آل مية رائح أو مغتد \* \* \* \* \* عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا \* \* \* \* \* وبذلك خبرنا الغراب الأسود

والإقواء: اختلاف حركة الروي، والروي هو الحرف الذي تبني عليه القصيدة، كالدال في قصيدة النابغة.

وفي قوله:

سقط النصف ولم ترد إسقاطه \*\*\* فتناولته واتقتنا باليدِ

بمخضب رخص كأن بنانه \*\*\* عنم يكاد من اللطافة يعقدُ

فقدم المدينة على الأوس والخزرج، فأنشدهم، فقالوا إنك تكفى الشعر، قال: وكيف ذلك؟ فجعلوا يخبرونه، وهو لا يفهم ما يريدون. فقالوا لجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلي. فلما قالت (الغراب الأسود) (ويقعد) و (باليد) و (مزود) علم، فانتبه، فلم يعد إليه، وقال: قدمت الحجاز وفي شعري ضعة، ورحلت عنها، وأنا أشعر الناس.

وتظهر موضوعية النقد، في أبسط صورها، في نقد أهل يثرب للنابغة فيما وقع فيه من (الإقواء)، وهو اختلاف حركة الروي في بعض أبيات القصيدة، وهو نقد صادق ليس فيه أثر من آثار الهوى الذاتي، والدليل على ذلك أن أهل يثرب تطفوا في إبلاغ النابغة عيبه، بأن دسوا له الجارية، تردد الصوت، وتطيل في القافية، لينبهوه في غير إحراج.

فإذا قال قائل: إن العرب لم تكن تعرف تلك الألفاظ الاصطلاحية، ومنها (الإقواء) في عيوب القافية، قلنا: إن العرب ذكرت في أشعارها السناد والإقواء والإكفاء، وذكروا حروف الروي والقوافي، وقالوا: هذا بيت، وهذا مصراع، وقال جندل بن المثنى الطهوي، يمدح قوافيه:

لم أقو فيهن ولم أساند

وقال ذو الرمة:

**وشعر قد أرقّت له غريب \*\*\* أجنبه المساند و المحالا**

فقد استعمل العرب تلك المصطلحات، بعد أن نقلوها من دلالتها الوضعية إلى تلك الدلالة، وكان ذلك قبل أن يضع الخليل بن أحمد شيئاً في علم العروض.

\* \* \* \* \*

وسئل الحطيئة: من أشعر العرب؟ فقال: الذي يقول:

**ومن يجعل المعروف من دون عرضه \*\*\* يفره ومن لا يتق الشتم يشتم**

يعني زهيراً، ثم سئل: ثم من؟ قال: الذي يقول:

**من يسأل الناس يحرّمه \*\*\* وسائل الله لا يخيب**

يعني عبيد بن الأبرص. وكان زهير أستاذ الحطيئة، وسئل عنه الحطيئة فقال: ما رأيت مثله في تكفيه على أكناف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من اختلاف معانيها امتداحاً وذماً.

وفي قول الحطيئة عن زهير (ما رأيت مثله في تكفيه على أكناف القوافي وأخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً وذماً)، تبدو النظرة الموضوعية، وإن كانت الموضوعية جزئية في هذا الرأي، لأنها لم تتناول الفن الشعري من نواحيه المتعددة، بل اقتصر على امتداح الشاعر بقدرته

على الصناعة، وتمكنه من الشعر، وقدرته على التصرف في الأغراض، وإن كان قد اقتصر في هذا الرأي على غرضين، هما المدح والذم، وأغفل ما عداهما مما عرف الناس به زهيراً من دعوته إلى السلم، وإكثاره من الحكمة حتى عرف بها.

ولكن الحطيئة نفسه في استحسانه قول زهير، تبدو ذاتيته في هذا الاستحسان، فقد عرف عن الحطيئة أنه أحد المتكسبين بشعرهم، وأنه استعمل هذا الشعر في الإشادة بمن مدوا له في حبل العطاء، والإرهاب لمن ظن منهم الضن بالعطاء، والنيل من أعراض من حرموه، ولعل تلك المعاني هي التي ثقفها الحطيئة عن، أستاذه (زهير) في هذا البيت الذي معناه التعريض بالطلب، ليبقى عرض الكريم مصوناً، فإن أبي، كان عرضه جديراً بأن يثلم، وكان عرضة للهجو والشتم. وفي بيت عبيد بن الأبرص تعريض بالطلب، ولكن في عبارة مهذبة، ليس فيها الإرهاب والوعيد الذي تراه في بيت زهير، وإنما فيها اليأس من الناس، والتماس النوال من رب الناس، وكلام الشاعرين يتفق تمام الاتفاق مع مذهب الحطيئة، فالهوى الخاص أو (النقد الذاتي) هو ما يظهر في هذا الرأي الذي يلائم طبيعة صاحبه.

\* \* \* \* \*

وقال لبيد: أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس، وحكم لبيد بتفضيل ذي القروح (امرئ القيس) على سائر الشعراء، لم يشر فيه إلى العلة التي بنى عليها التفضيل، مع أن هذا الحكم صادر عن شاعر خبير بصناعة الكلام، عارف بوجوه استحسانه، وكان حكم الحطيئة على شعر زهير مع قصوره، أوضح من حكم لبيد، لأن الحطيئة قد احتج بما أسلفنا من الحجج. وقد رأى النابغة لبيداً، وهو غلام جاء مع أعمامه إلى النعمان بن المنذر، فتوسم فيه الشاعرية، فسأل عنه، فنسبوه، فقال له:

يا غلام، إن عينيك لعينا شاعر، أفترض من الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا عم ، قال:  
فأنشدني، فأنشده قوله:

### ألم ترجع على الدمن الخوالي

فقال له: يا غلام، أنت أشعر بني عامر، زدني، فأنشده قوله:

### ظل لخولة في الرسيس قديم

فضرب بيده على جبينه، وقال: اذهب، فأنت أشعر من قيس كلها! وحكم النابغة  
بتفضيل لبيد على بني عامر كلها، ثم على قيس أجمع، لا يبعد عن هذا الحكم، وإن  
كان قد بني على ما سمع من الشعر، ولكنه لم يأت في حكمه على أسباب  
الاستحسان والاستجادة التي حكم بها علي هذا الشاعر.

\* \* \* \* \*

وكان النابغة الذبياني تضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء،  
فتعرض عليه أشعارها، فكان أول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير،  
أنشده طويلته التي أولها:

وسؤالي وما ترد سؤالي

ما بكاء الكبير بالأطلال

ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي

فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق

فقال النابغة: أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن أنجبك. وقيل إن الخنساء أنشدته في هذا المجلس، قصيدتها في رثاء أخيها صخر:

**قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت مذ خلت من أهلها الدار**

فقال لها النابغة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني، لقلت إنك أشعر الجن والإنس. فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال يابن أخي، إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

**فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع**

ثم قال للخنساء: أنشديه، فأنشدته، فقال: والله ما رأيت (امرأة) أشعر منك!. قالت له الخنساء: والله ولا (رجلاً) (٣)، وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت الجفان، فقلت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر، (لأن جمع التكسير يدل على الكثرة في الجمع، بينما يدل جمع المؤنث السالم على القلة في الجمع) وقلت: يلمعن في الضحى، ولو قلت: يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً (لأن من أمارات الكرم عند العرب إيقاد النيران ليلا ليهتدي إليها الضيف)، وقلت: يقطرن من نجدة دماً، فدلت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين، لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسراً منقطعاً.

ولسنا نذهب إلى ما يذهب إليه بعض المتشككين من الطعن في صحة هذا النقد، فإن سوق عكاظ كانت في الجاهلية مجتمعاً للعرب، وموسماً لحجها وتجاريتها، ومعرضاً لأدبها وأخبارها. واحتكام الشعراء إلى النابغة أمر يعرفه

العرب لذلك الشاعر الذي سلموا إليه أمانة الشعر، ولقبوه (النابغة)، وتجمع عليه كتب التاريخ والأدب.

وإن كان الشك في اقتدار النابغة على أن يظهر تلك الحجج التي فند بها بيتي حسان في معرض الخصومة والتحدي، فما نرى هذا الرأي، لأن الدعوى بأن الجاهلي (لم يكن يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير وجموع القلة وجموع الكثرة، ولم يكن له ذهن علمي، يفرق بين هذه الأشياء كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه، ولأن مثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل، عرف مصطلحات العلوم وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ، وألم بشيء من المنطق) .

قول مردود، فإن هذه الكلمات التي جرت على لسان النابغة في مجلس التحكيم، كما أوردها الرواة، لا يلزم صدورها مثل هذه المعرفة بمصطلحات العلوم التي عرفت في القرن الثالث الهجري، لأن ألفاظ تلك المصطلحات لم تجر على لسان النابغة. وإن كان قد جرى ما يشبه مدلولها، فإن العربي أعلم بلغته، وأقدر على التصرف فيها، من غير حاجة إلى معرفة تلك المصطلحات، لأن العربية لغته التي يفقه أساليبها من غير أن يعلمها أمثال الخليل وسيبويه وأضرابهما، ومثل هذين العالمين وغيرهما، إنما أخذوا ما يعلمه العرب بفطرتهم، ليعلموا به غير العرب، أو ليعلموا العرب الذين نزحوا عن وطنهم الأول، وفسدت لغتهم بمخالطة غيرهم.

فإذا قال النابغة لحسان (أقللت جفانك أو أسيافك) فلم يكن - وهو العربي المحكم - ليتعلم من علم الخليل أو سيبويه، أن العرب تعرف (الجفان) كما تعرف (الجفنان) وتعرف (السيوف) كما عرفت (الأسياف) وتعرف فضل ما بين اللفظين. وعن مثل قول النابغة أخذ أمثال سيبويه والخليل ما استطاعوا أن يأخذوا من لسان العرب.

أما ذهاب النابغة إلى تخطئة حسان في فخره بالأبناء دون الآباء، فلأنه أعرف بصفات المدح التي لا تغفل فيها العرب مآثر الآباء والأجداد، وما نظن منصفاً يرى أن تخطئة النابغة حسان في هذا يستلزم معرفة الفروق

البعيدة بين دلالة الألفاظ على المعاني، فهو ابن تلك البيئة التي تمجد الآباء والأجداد، وتفخر بأحسابهم وأنسابهم.

ولقد كان النابغة قريب عهد من الإسلام، اتصلت معرفة الناس به وبمنزلته، وروى الرواة أقواله في عصور متتابعة، حتى كان التدوين فدونت هذه الآراء، وبنى العلماء والنقاد عليها ما شأوا من قواعد النقد وأصوله، وكذلك عاش الأعشى حتى ظهر الإسلام، وعاش حسان والخنساء في ظلال الإسلام عمراً طويلاً، وتاريخ كل أولئك معروف لا مجال للطعن أو للتشكيك في صحته.



تلك لمحات يسيرة مما نقل الرواة وحفظ التاريخ من كلماتهم في النقد، وفي نظرتهم إلى الشعر، ولقد طوى الزمان كثيرا من النصوص النقدية، كما طوى جل قولهم في النثر، بل في الشعر أيضاً، الذي لم يصل إلينا منه إلا أقله، فلا نزع منها تمثل نقد



الأدب عندهم تمثيلاً كافياً واضحاً، ومن ثم كان من الصعب تحديد الأصول الأولى والقواعد التي احتذاها النقاد، ومعرفة الأهداف التي كانوا يرمون إلى إصابتها، والمثل التي كانوا يصبون إلى تحقيقها في الفن الشعري، وإن كانت تلك المثل حقيقة واضحة، فيما أثر من نتاجهم الشعري الذي لا يصعب الوقوف على خصائصه.

والذي يقف على تلك المقامات، وينظر في تلك الأقوال الماثورة عنها، يرى لأول وهلة أنها متسمة بالارتجال، وأنه ليس في أكثر تلك الأحكام ما ينبئ بالنظرة الفاحصة، أو الدراسة المعمنة التي ينشأ عنها الرأي الذي يدعمه البرهان، وتؤيده الحجة، ويستعان عليه بالخبرة الواسعة، والعقلية المستنيرة، والتفكير المنقّف.

وذلك لأن التماس العلل، والبحث عن الأسباب الحقيقية، لظاهرة من الظواهر المادية أو المعنوية، كان أبعد ما ينتظر في هذه البيئة التي فتكت بها الأحقاد واستعر بها الخصام، وأصبحت مسرحاً للثارات، وميداناً للاشتجار

والغارات، فخاصم الكرى جفون أهلها، وفقد الأمن سبيله إلى عقولهم وقلوبهم. ومن ثم لم يكن هناك تفرغ للبحث في علم أو فن، فغشيتهم الأمية، ولم يؤثر عنهم كتاب في علم من العلوم، أو مصنف في لون من ألوان التفكير، أو أثر يدل على تفوقهم في صناعة من الصناعات، كما اشتهرت الرومان بعظم السلطان وكثرة المدائن، وكما اشتهرت اليونان بعلمها وفلسفتها، والهند بطبها وحكمتها، والصين بفنونها وصناعاتها، وهؤلاء قد عاصروا العرب في أزمان جاهليتهم. ولم يؤثر عن العرب إلا تلك الملكة التي استطاعوا بها أن يرسلوا القول، ويصوغوا الشعر، وإلا كانت تلك المكارم النفسية التي كانت تصدر عن سماحة، طبعت عليها نفوس بعض كرامهم، وغدوا يتمدحون بها، ويشيدون بأربابها الذين كان من أبرز صفاتهم النجدة

والبذل والتضحية بالأموال والأرواح، لذلك كان (الارتجال) شأن الشعراء، إذا صاغوا شعرهم، وهو شأن النقاد الذين أبدوا آراءهم في نتاجهم، في تلك الكلمات السريعة التي هي في حقيقتها أحكام ذاتية، لأنها صادرة عن الأهواء الخاصة الكامنة في نفوس قائلها.

وإن النقاد في عصر ما قبل الإسلام لم يبنوا حكمهم النقدي على دراسة واسعة أو نظرة عميقة في جو القصيدة، وإنما اجتزؤوا بالعبرة الموجزة غاية الإيجاز، فعابوا في اختلاف حركة الروي في بعض الأبيات وسموه (الإقواء) ناظرين إلى معناه الأصلي الذي نقلوه عنه وهو مصدر (أقوى فلان الحبل) إذا جعل بعضه أغلظ من بعض. وقد وقع في هذا العيب كثير من الشعراء.

وقد نبه النقاد على هذا العيب أنهم لم يقفوا إلا على القوائد التي اتحدت حركة رويها، فألفت آذانهم تلك النغمات المنسقة، فلما اختلفت الحركة في بعض الشعر، أحست آذانهم بفقد الوحدة وفقد الانسجام، فعابوا ذلك. ولم يكونوا في حاجة إلى من يعلم آذانهم شنوذ النغم في بعض أواخر الأبيات.

ويعد الإقواء آخر الأخطاء التي وقع فيها الجاهليون، ويعد التنبيه له أولى خطوات النقد الشكلي، ويعد تصحيحه والرجوع إلى وحدة الحركة، طوراً من أطوار تهذيب الشعر، وتنقيته من أسباب النقص، أو أسباب القبح. وإذ كان العربي أعلم الناس بلغته، وأقدرهم على تفهم أسرارها، وأساليب التعبير بها، فقد استطاع طرفة وهو غلام أن يتنبه على هذا التخليط الذي وقع فيه المسيب في وسمه الجمل بسمة من سمات النوق.

وإذا تأملنا تلك الصور النقدية التي تهيأت لنا، على قلتها، وجدنا أن أكثر تلك الآراء يعتمد على الذوق الفطري عند أصحابها، فقد اكتفى هؤلاء بإرسال تلك الآراء من غير أن يبينوا حجتهم فيما ذهبوا إليه، ولا الأساس الذي بنوا أحكامهم عليه، وليس في تلك اللمحات النقدية شيء غريب عن البيئة التي قيلت فيها، بل إنها أشبه ما تكون بطبيعة الجاهليين الذين لم يكن لديهم من أسباب الحضارة وألوان الثقافة ما يسمح لهم بمحاولة تأييد الرأي بالعلة المعقولة، والدليل الواضح الذي يؤيدها.

وإن الذين أثرت عنهم تلك الآراء . عدا أم جندب . كانوا شعراء، وكانت لهم المعرفة بالشعر والمكانة المرموقة بين الشعراء، وفي هذا ما يدل على أنه لم يكن هنالك فئة من الناس، لها دراية بالشعر ويعترف لها بهذه الدراية، إلا الشعراء.

ولعل الناس كانوا يرضون منهم بأمثال تلك الأحكام السريعة، ويجتزئون منهم بالقليل من الرأي، بوصفهم أهل الدراية والخبرة الفنية، ولعلمهم كانوا أيضاً، لا يرون أحداً من غير الشعراء، له الحق في أن يصدر الحكم في الشعر أو في الشعراء، فكانت كلمتهم القول الفصل الذي لا يمارى فيه، ولا يرقى إليه الشك في نظر الناس.

وليس معنى ما تقدم أن نظرة الأدباء أو النقاد منهم إلى الشعر، قد خلت تماماً من النظرة الموضوعية، أو أن نقدهم قد وقف عند الحد، الذي تمليه العواطف والأحاسيس نحو الذي يسمعون، أو نحو صاحبه، فقد بان في بعض الأمثلة التي سقناها ما يدل على النظرة الموضوعية، فمن ذلك تحليل جندب لتفصيلها وصف علقمة لفرسه، لأن فرسه أجود، إذ أدرك الغاية ثانياً من عنائه، على حين أن فرس أمرئ القيس استحثه راكبه بالزجر، وتحريك ساقيه وإلهابه بسوطه، حتى أدرك ما

أراد، ومع ما في هذا القول من العنت والإسراف، فإنه محاولة لالتماس العلة والبرهان. وفي حكم طرفة بتخليط

المسيب بن علس النظرة الموضوعية أيضاً، فقد عابه بأنه جعل للجمل شيئاً من سمات الناقة. وعاب أهل يثرب النابغة بالإقواء. وشهادة الحطيئة لأستاذه زهير بالتمكن من القوافي والقدرة على التصرف بها، واختلاف معانيها بين المديح والهجاء نظرة موضوعية في شعره جملة، وتبدو فيها علة التفضيل. وتبدو النظرة الفنية الموضوعية أكثر وضوحاً في قول النابغة لحسان: أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن أنجبك! وهذا نقد للمعاني.

والخلاصة أن تلك النظريات النقدية أهم صفاتها الذاتية الصادرة عن حس الناقد وشعوره تجاه النص الشعري، وتلمح في بعضها آثار الموضوعية التي تنوعت بين نقد، يمكن أن نعده لغويا في عبارة طرفة، وعروضياً في نقد أهل يثرب للنابغة، ومعنوياً في نقد أم جندب لفرسي الشاعرين، ونقد النابغة بيتي حسان بن ثابت.

ولكن هذه النظرات، وإن حسبناها في الموضوعية، إنما هي في حقيقتها موضوعية جزئية، فليس فيها شيء من الإحاطة والشمول، أو محاولة التنقيب في زوايا الأثر الأدبي، والتعمق في دراسته، فإن ذلك كان أبعد ما ينتظر في ذلك الزمن، وليس فيها شيء من الدراسة المستوعبة لقصيدة كاملة، أو دراسة للشاعر في تلك القصيدة، وإبراز المحاسن والمساوئ في كل جزء من أجزائها، أو تتبع ذلك الشاعر في كل ما يعرف له، أو أكثر ما أثر عنه، لاستخلاص اتجاهاته العامة، ومنهجه الذي يسير عليه، وبيان إبداعه، أو اتباعه.

كل ذلك لا أثر له في نقد ما قبل الإسلام، وهو، بهذه الأوصاف، لا يمكن أن يكون أثراً من آثار الدراسة التحليلية أو التأمل العميق الذي يهدي إلى آراء ونظريات في تصور الفن الأدبي، وما ينبغي أن يكون فيه من أسباب الجودة، وإنما يكون ذلك حين يوغل العرب في الحضارة، وتتفتح أمامهم

أبواب الثقافة، وحين ينظم الإسلام حياتهم، وينسق تفكيرهم، وحينما يخوضون التجارب، وتتوسع أمامهم الأشكال والمواقف، فيكون حينئذ التأمل والتفكير.

### النقد في عصر صدر الإسلام

وإذا انتقلنا إلى عصر صدر الإسلام لم نجد اختلافاً كبيراً بين بلاغة هذا العصر وذاك، فقد كان العرب في صدر الإسلام يجرون في أساليبهم على الطبع والسليقة تارة، وعلى الدربة والتثقيف تارة أخرى، فيوفون اللفظ والمعنى حقهما، ويصلون إلى الغرض في إيجاز، أو إطباب، أو مساواة، على حسب ما يقتضيه المقام، كما كانوا لا يحفلون بالسجع، ولا يقصدونه قصداً إلا ما أتت به الفصاحة، في أثناء الكلام، واتفق منهم على غير قصد أو اكتساب، لأنهم في ذلك كله يرسلون الكلام إرسالاً دون تعمل أو تكلف.

ونزول القرآن بلسان عربي مبين، قد توج فصاحة العرب، وبرهن على بلاغتهم التي لا تبارى، فقد كان القرآن متحدياً هذه الفصاحة الكاملة، وتلك البلاغة التامة، وإذا كان التحدي لا يكون إلا بما يعرفه الناس، ويتداولونه، فإن ذلك يعني أن العرب في عصر القرآن كانوا على درجة عالية من التدوق، والتحسس لمواضع الجمال في

الكلام، وعلى هذا الأساس تحدى القرآن العرب أن يأتوا بمثل القرآن، ولم يتحد غيرهم، فبفضل ما نهج القرآن الكريم، والرسول الأمين، من طرق الفصاحة والبلاغة، أخذت تنمو عناية العرب بتحسين الكلام، وتجميله، والتفنن فيه. أما القرآن فكانت آياته تتلى في آناء الليل وأطراف النهار، وأما الرسول فكان حديثه يذيع على كل لسان، وكانت خطبه ملء الصدور والقلوب، وفيه يقول الجاحظ انه (لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد خف بالعصمة.. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته..

## المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٧٤م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الأسلوبية، علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، د. صلاح فضل، فصول، مجلد ٥، العدد الأول، أكتوبر ١٩٨٤م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ط ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- إعراب القرآن؛ أبو جعفر النَّحَّاس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار اليمامة، دمشق - بيروت، ط ٤، سنة ١٤١٥ هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، ط ٣.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لا بن عجيبة، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، ١٤١٩ هـ.

- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزمكاني تحقيق: خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٨٤م
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ت).
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط ١٧، ٢٠٠٥م.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حَبَنَكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، دار الهداية.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس سنة ١٩٨٤هـ.
- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط ١-١٩٨٣م
- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ط ١٣٨٣هـ.
- تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة.



- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٩٤٦ م
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.
- التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، ط١٠، ١٤١٣ هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر ، الفجالة، القاهرة، ط١ ١٩٩٧م.
- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، مراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة(د.ت).
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي ، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت، د.ت.

- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، ط ١.
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر، بيروت.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢، ١٩٧٥ م.
- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرون، المكتبة العنصرية، بيروت، ط ١٩٤١ هـ.
- الطرار لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العنصرية - بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر تأليف العلامة الحسن بن محمد الصغاني الحنفي / ت ٦٥٠ هـ، تحقيق د. فير محمد حسن، منشورات المجمع العلمي العراقي \_ بغداد، ط ١، ١٣٩٨ هـ، وتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام طباعة دار الرشيد للنشر العراق ١٩٨٠ م.
- علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، أحمد بن مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية بيروت/ لبنان.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، ط١، سنة١٤١٤هـ.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، د/ السيد خضر، مكتبة الآداب، ط٢٠٠٩، القاهرة.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي ط٢، ٢٠٠٠م.
- القرآن القول الفصل بين كلام البشر وكلام رب العالمين، محمد عفيفي، ذات السلاسل، الكويت، ط١٩٩٧م.
- الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ
- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية -بيروت / لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- لطائف الإشارات، للقشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣.
- اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة: عبد الجليل الدواخلي وآخرون، مكتبة ألا نجلو المصرية، القاهرة، ط١٨٥٠م.

- محاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، سنة ١٤٢٢ هـ.
- مختصر تفسير ابن كثير، ت/ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان، ط٧، سنة ١٩٨١ م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي؛ تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، لبنان، ط١، ١٩٩٨ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة، ط١.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ..
- المفردات في غريب القرآن، صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية دمشق، ط١، عام ١٤١٢ هـ.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام ١٩٧٩ م.

-من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضة مصر - القاهرة، ط٢٠٠٥م.

-المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٠م.

-نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة، مطبعة الجوائب - قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢م.